تفسير القرآن الكريم إشكالية المنهج

أ.م.د. حسن كاظم أسد

كلية التربية / جامعة ميسان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آل بيته الكرام وصحبه المنتجبين، وبعد..

لقد اختار الله الأمة العربية من بين الأمم فميزها عن باقي الأمم فقد جعل فيها خاتم الأديان وبمعجزة الكتاب الذي يضم بين دفتيه خير الدنيا والآخرة، وميزه في أسلوبه وبمنهاجه في التجديد المستمر لإصلاح شؤون الدنيا والآخرة، وجعل من هذه الأمة حرسة الكتاب الإلهي، وأفاض عليها بمواهب عظيمة، وتلك نعمة أعطيت لها، ومسؤولية ثقيلة أسندت إليها، وهذه المهمة يقع جُزْءًا كبيرا منها على عاتِقِ المفسِّرينَ الذين هم بعد الرسول(ص) وأهل بيته(ع) لتبين وتوضيح مقاصد القرآن الكريم لمعرفة مراد الله عز وجل وان لا يتشاغلوا عن واقع الأمة، وعن مشكلاتها المستحدثة وأن يستحضروا مقاصدَ القرآنِ ومطالبَ الأمة،لأن الحياة في حالة تجدد وأن معجزة القرآن الكريم في جريه مادامت السماوات والأرض ومادامت الحياة قائمة فهذه مهمة القرآن الكريم ، لذا فالتجديد هو الوسيلة لذلك، وهو سنة من سنن الله تعالى في تطور الإنسانية .

كل حضارة ظهرت على وجه البسيطة مصيرها إلى الزوال، وهي نسبية لا توصف بالخلود المطلق، ومن ثم يجوز عليها الموت وإخلاء الطريق لحضارات أخرى وارثة لأممها وشعوبها وتاريخها، فالحضارة الإسلامية واللغة العربية مع أنهما إبداعات إنسانية،فإن مصيرها البقاء، وذلك لارتباطهما بالمطلق الديني، وهو الإسلام الخالد والخاتم، ومعجزة القرآن الكريم في بقائه المهيمن الذي تعهد الله بحفظه بلسان عربي مبين، لأجل هذا كان التجديد سنة مطردة وقانوناً لازماً في مسار الحضارة الإسلامية يقودها إلى النهوض بعد كل ركود، وهذا هو الذي جعل الحضارة الإسلامية أطول الحضارات المعاصرة عمراً وأرسخها قدماً على درب النهوض، وأكثرها تمسكا بهويتها، فهي ذروة في الإبداع المدني البشري قد حدد معاييره الوحي الإلهي.

التجديد ليس في التفسير فحسب بل في كل مجال من مجالات الحياة، والتجديد يعد مطلبا ضروريا ملحا من متطلبات الحياة، ومنفذا إلى استمرارها؛ ذلك أن التجديد يعني أن الحياة قائمة ومستمرة، ومثلما هو التجديد في الحياة يكون التجديد في العلوم، وعلم التفسير واحد من هذه العلوم بل هو أهمها لأنه يتعلق مباشرة بمصدر هذا الدين، لذلك فإن التجديد في تفسير القرآن الكريم، يعد مطلبا ملحا في كل مراحل الدين الإسلامي، في طريقته ومناهجه، واختيار الآراء الجديدة في التفسير التي لم يسبق للمفسرين القدامى أن تعرضوا لها.

يهدف هذا البحثُ إلى وضعِ خُطُواتٍ منهجية أساسية ينبغي مراعاتها، ولابد لنا أن ننوه على أن الإشكالية في تجديد منهج التفسير هو ليس في الانسلاخ عن الماضي والخروج عن القواعد والانفلات عن الشروط والابتعاد عن الضوابط والمستلزمات التي يحتاجها المفسر في عملية التفسير؛ لدعوى أن هذا المنهج في التجديد يحقق الرغبات الذاتية للمفسر، ويحقق التوافق والانسجام بين الرؤى والاختيارات التي يحملها وبين المعاني والدلالات التي جاءت محمولة ومودعة في القرآن الكريم.

إن هذا الشكل في التفسير لا يتوافق مع الأداء المنهجي الذي عليه يتوقف تفسير النص عامة والقرآني خاصة، فلا بد في عملية حل هذه الإشكالية في تجديد منهج التفسير من استحضار مجموعة من الشروط والضوابط منها ما هو نقلي ومنها ما هو عقلي،كما لا ينبغي في تجديد منهج التفسير أن يلجأ المفسر إلى إسقاط اختياراته وأفكاره بالقوة على نصوص القرآن الكريم. فهو يضحي بالنص وبمعانيه في سبيل بلوغ الاختيارات والقبليات الذاتية، لهذا وذاك جاءت خطة البحث على الآتي:

المبحث الأول:التفسير والتجديد

المبحث الثاني:آداب يجب على المفسر أن يتحلى بها

المبحث الثالث:خطوات على سبيل حل الإشكالية في تجديد المنهج.

الخاتمة وأهم النتائج

المصادر والمراجع

المبحث الأول:

معنى التفسير والتجديد

أولا: التفسير :

التفسير لغة: هو بمعنى الكشف والبيان(١).

وفي الاصطلاح :الكشف لبيان مراد الله، وهو بهذا المعنى يشتمل جميع ضروب البيان لمفردات القرآن وتراكيبه سواء أتعلق البيان بشرح لغة أم استنباط حكم أم بتحقيق مناسبة، أم بيان سبب نزول، أم بدفع إشكال ورد على النص، أم بينه وبين نص آخر، أم بغير ذلك من كل ما يحتاج إلى بيان النص الكريم(٢).

ثانيا: التجديد :

من الجِدّة، والكلمة تدور على إبراز ما لم يكن بارزاً أو إنشاء ما لم يكن منشأً أو من الإيجابية في العمل والاستمرار فيه، أو شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مغلق يشرحه، أو شيء مطول يختصره دون أن يخل بمعانيه، شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه، ليس يعني هذا المصطلح الإتيان بالجديد ضرورة وهذا ما لحظه في كل زمان المؤلفون والمبدعون والفاعلون في الأمة في كل أوقاتها(٣).

ثالثا: التجديد في التفسير:

التجديد هو إعادة صياغة الماضي ليلائم ظروف الحاضر ومواكبته لحاجات العصر ووضع الحلول الناجعة لمشكلاتها، وليس المقصود بالتجديد إلغاء جهود السابقين من المفسرين، وحتى لا تكون العملية التفسيرية جامدة، وهذا يتم من خلال دراسة جهود المفسرين القدامى، بعرض تفاسيرهم ودراسة منهجهم وما استقوا من مصادر، لمعرفة أن هذا الاحتياج قد تم من قبل المفسرين الأوائل في مختلف عصورهم، لحاجة في ذلك الوقت تمت وانقضت أم أن القرآن يجري علينا كما تجري الشمس والقمر، ثم إذا تم ذلك لابد من فهم ما هو الداعي إلى التجديد في التفسير (٤).

أن تفسير الماضيين كان على عدة مناهج منها تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالمأثور، معتمدا على اللغة وسياق الآيات المفسرة وقرائن الأحوال المرافقة للنزول، بأن يعمد المفسر إلى آية أو مجموعة من الآيات ذات الارتباط الموضعي أو النحوي فيعمل على تتبع جزئياتها من الحديث وبيان معاني المفردات والكلمات وأصولها الاشتقاقية وصيغها الصرفية ثم معرفة الإعراب والقراءات ثم تتبع الشواهد البلاغية في الآية وربما انجر

الكلام إلى التوسع في بعض ما له علاقة بالآية من قريب أو بعيد. ثم ما يتمتع به المفسر من آداب فنية وموضوعية وموهبية، وبالمقابل كانت إفهام الناس تتفاوت في فهم القرآن(٥).

ويمكننا ملاحظة ذلك في التفاسير القديمة وصولا إلى عصرنا الحاضر مع وجود التمايز بين هذه التفاسير قديما وحديثا باختلاف شخصيات المفسرين، فكل تفسير تنطبع فيه آثار شخصية مؤلفة، وتختلف المعرفة من شخص لآخر عبر القرون وهذا من الاختلافات التي هي من شأن البشر وضرورة تمايزهم .

إذن، هل يمكن إحداث تجديد في التفسير، أو أن التفسير توقف على ما قال به القدامى، و لا يجوز القول، هذا تعطيل للفكر، وهو معارض بالقرآن نفسه ، الذي حث على التدبر ؛ لأن القرآن الكريم إنما أنزله الله تعالى لهداية البشر في كل زمان وفي كل مكان، وأن مشكلات الناس تختلف باختلاف عاداتهم وتقاليدهم وبيئاتهم التي يعيشون فيها، فكل قوم وصلهم دين الإسلام وجب عليهم النظر في هذا القرآن الكريم الذي هو منهج حياتهم وسبيل رقيهم، والنظر مختلف باختلاف الحاجات العائدة إلى سبيل الهداية، ولا شك أن هذا سبيل من سبل الرقي في التفسير والتنوع في الإفادة من القرآن الكريم بما تقوم به حياة الناس المختلفة ففي هذا يمثل نوعا من التجديد(٦).

القرآن الكريم يبعث على النهوض بأعباء الدعوة إلى دين الإسلام، فيحفزهم دائما إلى النهوض والعمل، ولذلك لا بد من التركيز على العلم وبعث روحه في أرجاء الأمة الإسلامية، وإن إعادة قراءته لأكبر الأدلة على الدعوة إلى التجديد في الفهم؛ لأن القرآن دافع إلى الرقي، فتعرض القرآن الكريم إلى قراءات متلاحقة عبر العصور، حتى يكون كل عصر يستطيع أن يستنبط قضايا ومسائل تعينه على اجتياز المأزق الحضاري الذي يجد نفسه فيه، فعلى ذلك يمكننا أن نقول إن تفسير القرآن الكريم يمكن أن يتجدد بكل عصر في ضوء المستوى الحضاري الذي وصل إليه أهل ذلك العصر والزمان، ولا يمكن أن نوقف تفسير كلام الله تعالى عند عصر معين.

إن الاختلافات بين المفسرين إذا كانت ناشئة عن القراءة من جهة أو الاختلاف في معنى الكلمة هي قليلة قياسا لما اختلف فيه المفسرون فيكون جل اختلافاتهم تعود إلى اختلافهم في الرأي ولا شك أن هذا ناشئ عن الاجتهاد في التفسير، والاجتهاد مدعاة للتجديد(٧).

وإذا كان الحال هكذا فلم يبق التفسير جامدا كما هو لم يتغير بل برزت اتجاهات ومناهج جديدة في كتب التفسير تلتها كذلك موضوعات جديدة لم تطرق بعناية بينه في كتب التفسير القديم، ويمكن تتبع بعض الملاحظات حول كتب تفسير القدامى وبشكل عام :

١- اعتماد المفسرين على طريقتهم التقليدية القديمة في التعامل مع النص القرآني تثقيفا للمسلم وتزويده بأنواع المعارف اللغوية والنحوية والبلاغية والفقهية والتاريخية وغيرها مما يختلف باختلاف شخصية المفسر .

٢- الاستطراد الطويل المستتبع لثقافة المفسر.

٣- هناك خلل في تفسير بعض الآيات الكونية والمتعلقة بالطبيعة وغيرها .

٤- ملء كتب التفسير بالخلافات المذهبية والعقدية وغيرها .

٥- عدم الاستجابة لتحديات الواقع، بحيث يفسر القرآن بعيدا عن حياة الناس، كأنما هو قوالب جامدة لا علاقة لها بواقع الناس وحياتهم بل هي بحاجة إلى تفكيك ونشر.

٦- الإسرائيليات المنتشرة في تفسير القصص القرآني.

٧- ذكر الروايات والأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفاسير والاستنباط منها جنبا إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة[٨] .

ويمكن ملاحظة الاتجاهات التي برزت في التفسير الحديث، والتي تناولت الموضوعات الجديدة التي طرأت على التفسير الحديث:

فالاتجاهات هي : الاتجاه الأدبي . الاتجاه الاجتماعي .الاتجاه العلمي . الاتجاه الموضوعي، الاتجاه الفلسفي ، أما الموضوعات التي طرأت على التفسير الحديث هي[٩]:

١- التوجه في الاجتهاد وعدم التقليد .

٢- ملاحظة المساحات الواسعة في التفسير التي تناولت قضايا السياسة والوطن .

٣- قضايا العلم والحرية .

٤- قضايا الاقتصاد الإسلامي .

٥- قضايا المتعلقة بالأسرة وتعدد الزوجات والطلاق والميراث وحقوق المرأة.

٦- وحدة الأمة وموقف المسلمين من غيرهم .

٧- عرض قضايا الاعتقاد، والوقوف الحازم أمام تيارات الإلحاد وتزييف شبه المبطلين.

فقد عرض المفسرون الجدد مسائل التي تقدم ذكرها عبر أساليب اعتمدت على مبادئ وقيم واهتمامات، كان لها الأثر في التجديد، ولا نغفل أنهم اعتمدوا في تفاسيرهم على المفسرين القدامى بأن اخذوا منهم الكثير واعتمدوا عليهم في آرائهم واتجاهاتهم بمنهج جديد وبنفس الوقت قاموا على نقدهم في بعض الأحايين، كل ذلك كان بأسلوب منسجم مع روح العصر وظروفه، لظهور مستجدات وتساؤلات ومشكلات إنسانية واجتماعية وعلمية كان لابد منهم إظهار الإعجاز القرآني في شتى نواحيه .

كما يستطرد المفسرون في تفاسيرهم الحديثة مثل السيد الطباطبائي إلى ذكر مباحث أخرى فضلا عن التفسير مباحث أخرى كالروائية والفلسفية واللغوية والمباحث الكلامية وغيرها كثير، فالتفاسير الحديثة اشتملت على التفسير وغير التفسير.

رابعا: المنهج:

النهج لغة: هو الطريق الواضح، وأنهج الطريق: وضح واستبان[١٠]. (والمنهج الطريق أيضا والجمع المناهج)[١١]، والانتهاج: الاستقامة على نظام واحد[١٢].

أما في الاصطلاح: تنظيم موضوعات وفق أفكار معينة على طريقة واضحة بغية الوصول إلى نتيجة معينة. فهو (خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر، ويتتبعها للوصول إلى نتيجة)[١٣].

والمنهجية: هي تنظيم أدوات التفكير وجمع الحقائق[١٤]، ويبحث فيها كليات المناهج بأطرها العامة، فقد تكون هناك عدة مناهج أخرى هامة تساهم في تطوير المنهجية الحديثة[١٥]، كالبحث في منهج التفسير الأثري ومنهج التفسير البياني ومنهج التفسير العلمي لتطوير منهجية خاصة بالتفسير تحت منهج يغاير هذه المناهج.

شروط المنهجية: (أن يكون المرء عارفا بأصول المنهج العلمي العام[١٦]، وقواعد المنهج العلمي الخاص[١٧]، اللذين يناسبان موضوع بحثه. مع وجود القدرة لديه على هندسة بحثه وفق قوانين المنهجين ليصل إلى نتائج سليمة في بحثه)[١٨].

لذلك فالمنهجية تعني المعايير التي توضع لتحديد الأداء في العمل المعرفي قبل الشروع به، كما يمكن أن تتبع الخطوات العامة ومفردات البحث في المناهج، من أجل رسم خطوط جديدة لتوظيفها في مجالٍ بحثيّ له سمات خاصة وإن كان مشتركاً في المادة المبحوث فيها.

إذن، فالمنهج هو التطبيق لنظرية البحث عند كل باحث، وهي تختلف بحسب طبيعة النظرية نفسها والمجال الذي تتمثل فيه الغاية من تطبيقاتها، فالمنهج الطريقة التي يتبعها المفسر للوصول إلى مراد الله على وفق نظرته وثقافته ومذهبه[١٩].

أما المنهجية في التفسير هي العلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج واختبارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، ويبحث في كلياتها ومسلماتها وأطرها العامة، فهي أدوات للتفكير ولجمع الحقائق[٢٠].

خامسا: الإشكالية:

إشكال لغة: إِشكاليّة :اسم الجمع : إشكاليَّات،مصدر صناعيّ من إشكال: اِسْتَشْكَلَتْ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ : غَمَضَتْ ، صَعُبَتْ ، اِخْتَلَطَتْ عَلَيْهِ . أشكل اللّون: اختلط بغيره، الأَشْكَلُ : ذو اللَّوْنَيْن المخْتَلِطَيْن . أشكل : ما فيه بياض وحمرة مختلطان . أشكل من كانت بعينه وهي حمرة في بياضها ،أَشكَلَ الأمرُ : التبس، وأَشْكَلَ فلانٌ : اجتمع بأَشكاله وأمثاله،و أَشْكَلَ النَّخْلُ : لَوَّنَ بُسْرُهُ للنُّضج، و أَشْكَلَ الكتَابَ : ضبَطَهُ بالشَّكْل،و أَشْكَلَ المرأةُ شَعْرَهَا : عقصته من أَطرافه، لَوَتْ خُصَلَهُ وَعَقَدَتْها حَتَّى يَبْقَى فيها الْتِواءٌ،أَشْكَلَ النَّصَّ : ضَبَطَهُ بِالحَرَكاتِ: أَشْكَلَ النَّصَّ شَكْلاً تامّاً[٢١].شَكَلَ الأمر يشكُل شَكلاً، أي: التبس الأمر، والعامة تقول شَكَل فلان المسألة أي علّقها بما يمنع نفوذها [٢٢]

الإشكال اصطلاحا: مجموعة المسائل التي يطرحها أحد فروع المعرفة ،وهو الالتباس والاشتباه في أمرٍ أو شيءٍ ما.أي: التباس في قَضِيَّةً فِكْرِيَّةً أَوْ ثَقَافِيَّةً أَوِ اجْتِماعِيَّةً، وَهِيَ بِحاجَةٍ إلى تَفْكيرٍ وَتَأَمُّلٍ وَنَظَرٍ لإيجادِ حَلٍّ لَها.

أو هو إشكالية البحث هي فراغ أو نقص في المعارف العلمية حول مسألة معينة، فكل بحث يبدأ عند نقطة يوجد فيها مستوى معين من المعارف لكن في نفس الوقت هناك فراغ أو نقص في معرفتنا حول موضوع معين، وقد تكون المعلومات عن مسألة ما ناقصة أو تكون غير منظمة أو غير واضحة مما يمنع من استعمالها للإجابة على التساؤلات[٢٣].

"المشكل اسم فاعل من الإشكال وهو الداخل في أشكاله وأمثاله، وعند الأصوليين اسم للفظ يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد منه إلاّ بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال والمشكل ما لا ينال المراد منه إلا بالتأمل بعد الطلب "[٢٤]، أو هي "المطالب التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض من ذلك معرفتها "[٢٥].

سادسا: نماذج من التجديد عند المتقدمين :

إذا كانت هذه الدراسة قد بينت أن المتأخرين قد أحدثوا في التفسير أشياء كثيرة جديدة فلا يعني هذا أن المتقدمين لم يكن لهم أي نوع من التجديد، بل الذي يطالع كتب التفسير يجد أن التجديد قد برز بروزاً واضحاً في ثنايا التفسير، فمن خلال التتبع ظهر أن القدامى هم أول من جدد وذلك أن كل مفسر له طريقته في الأداء

التفسيري، وهي بحد ذاتها تجديد، وهذه نبذة سريعة في أبرز كتب للتفسير عبر القرون لأبين ما حدث فيها من تجديد.

صدر الرسالة الأول: كان من حصة الرسول(ص) فقد كان مبلغا ومفسرا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل :٤٣ –٤٤، فدور الرسول (ص) في تبليغ الرسالة كان بارزا، قال تعالى: ﴿أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ المائدة:٦٧وبما أن رسالة القرآن الكريم مبينة فالتبليغ أيضا سيكون مبين، وفعلا ذلك ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ المائدة:٩٩، إذا فالقرآن الكريم مبين، والتبليغ مبين كذلك، الشيء الذي يدل على أن الرسول (ص) يبلغ هذه الرسالة للناس كما هي لأنه لا يوجد تبيين فوق تبيين الله جل وعلاه، لكن قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، فإن فهم المراد يجب أن يكون في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ومن ثم جاء بعده أهل ببيته(ع) الذين هم عدل الكتاب، فلا ينكر احد أن أهل البيت (ع) هم من نزل القران الكريم في بيوتهم فوعوه وحملوه فكرا وإشعاعا إلينا فهم بحق القران الناطق وترجمان الوحي فأهل البيت (ع) ورثة الكتاب وحملة علم الرسول(ص) وكما كان موضع النبي(ص) من القرآن الكريم موضع بلاغ وبيان، فكذلك موضع أهل بيته الطاهرين (ع) موضع أداء وإيفاء، وإنهم خلفاؤه في أداء رسالة الله عز وجل في الأرضين، والايفاء ببيان شريعته في العالم، فهم باب علمه ، ومستودع حكمته، والمؤدون عنه، والشهداء على الخلق؛ ليكون الرسول(ص) عليهم شهيدا، ولكن القرآن الكريم لم يفسر تفسيرًا كاملًا في العهد الأول، لا من النبي (ص)، ولا من غيره، نظرًا لعدم حاجة الناس لذلك؛ فقد كان النبي (ص) يفسر للناس ما يحتاجون إلى تفسيره، ويبين لهم ما يحتاجون إلى تبيينه، ثم جاء الصحابة وأشهرهم عبد الله بن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن، وابن مسعود وغيرهم من الصحابة يفسرون ما يحتاج الناس إلى تفسيره من القرآن الكريم؛ لأن أكثر الناس في ذلك الوقت لا يحتاجون للتفسير نظرًا لسليقتهم العربية، ومشاهدتهم لمراحل الدعوة، ومعرفة أسباب نزول القرآن االكريم؛ ولذلك لا توجد كُتب مستقلة في تفسير القرآن الكريم للصحابة، ولا للتابعين، ولكن أقوالهم نقلت إلينا في كتب التفسير التي دونت بعدهم، كتفسير الطبري وغيره.

القرن الثاني : برز فيه مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) إذ ألف تفسيراً شاملاً للقرآن وهو على ما يبدو أول كتاب تفسير كامل وصلنا . وبغض النظر عما في هذا التفسير من آراء إلا أنه يمثل حلقة جديدة في التفسير لم يكن لها سابق وهذا نوع من التجديد.

القرن الثالث : برز فيه من أعلام التفسير واللغة الفراء المتوفى سنة (٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة المتوفى سنة (٢٠٩هـ)، وعبد الرزاق الصنعاني المتوفى سنة (٢١١هـ) الذي ذكر أقاويل السلف في التفسير واقتصر على

ذلك، والأخفش المتوفى سنة(٢١٥هـ)، وهؤلاء الثلاثة قد أحدثوا في التفسير نقلة جديدة لم يسبقوا إليها حيث بدأت بذور الدراسات النحوية في التفسير تنمو وبتسارع شديد على أيدي هؤلاء الثلاثة مما يعد نقلة جديدة في التفسير وهذا لا شك نوع من التجديد.

القرن الرابع : برز فيه من المفسرين الطبري (٣١٠هـ) ، والزجاج (٣١١هـ) بما أبدع في جمع أقوال اللغويين والمفسرين في التفسير، والنحاس (٣٣٨هـ) والجصاص الحنفي (٣٧٠هـ) ، والسمرقندي أبو الليث (٣٧٣هـ)، وكل واحد من هؤلاء قد أحدث نقلة جديدة في التفسير فأما الطبري فقد جمع روايات التفسير بأسانيدها ووازن بينها وأخذ يرجح ما كان راجحاً، ويضيف ما يراه لازماً، ويعد الطبري بحق صاحب فتح جديد في التفسير، وأما النحاس فأضاف إلى العصر الذي هو فيه ما ذكره من أقاويل النحاة في الإعراب والترجيح بينها ، وأما الجصاص فأحدث نقلة نوعية في هذا العصر إذ قصر التفسير على آيات الأحكام وحاول جاهداً إبراز مذهب الحنفية وتقوية أدلته وبراهينه من خلال التفسير، وأما السمرقندي فكان من أسلوب نهجه نقل ما تقدمه من الأقاويل مع حذف أسانيدها على خلاف ما جرى عند الطبري.

القرن الخامس : ظهور الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) ألذي أحدث نقلة نوعية في التفسير، بطريقته في تتبع الآية القرآنية ودراستها من جميع النواحي من خلال التركيب كالإعراب والمفردة والصرف ثم تتبعه للملاحظ البلاغية ثم المعنى والمناسبة بإسلوب تحليلي لم يسبقه به أحد من المفسرين السابقين، وهو بهذه الطريقة كان له السبق في مجال التفسير،ثم ظهور التفسير ذو الصبغة العرفانية عند القشيري الصوفي (٤٦٥هـ) الذي أحدث نقلة نوعية في التفسير ممثلاً ذلك بكتابه لطائف الإشارات حيث فسر القرآن الكريم كاملاً على المنهج الصوفي.

القرن السادس : برز فيه من المفسرين الذين فسروا القرآن موضوعيا في اتخاذهم آيات الأحكام ميدانا لتفاسيرهم مبتدئين من الطهارة إلى الديات، مثل كيا الهراسي الشافعي (٥٠٤هـ) والذي فسر آيات الأحكام على المذهب الشافعي، ثم جاء وابن العربي المالكي المتوفى سنة(٥٤٣هـ) والذي فسر آيات الأحكام على مذهب الإمام مالك، والقطب الراوندي (٥٧٢هـ) الذي فسر آيات الأحكام على المذهب الإمامي، ثم ظهور تفسير الطبرسي (٥٤٨هـ) على طريقة التفسير التحليلي متبعا اسلوب الشيخ الطوسي بذلك، ثم ظهور التفسير البلاغي للقرآن على يد الزمخشري (٥٣٨هـ) الذي أبدع في ذلك، وابن عطية (٥٤٢هـ) والذي اعتمد على الرواية.

القرن السابع : برز فيه الرازي (٦٠٦هـ) الذي أحدث نقلة نوعية في التفسير بما جمعه من مستحدثات العلوم في زمانه وبخاصة العلمية منها مما له علاقة بالتفسير، وابن جزي المالكي (٦٢٠هـ) العالم الشهيد الذي قدم للناس تفسيراً مختصراً مفيداً، والقرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ) الذي فسر القرآن كله واهتم بإبراز آيات الأحكام والخلاف فيها، فكان بحق كتاباً موسوعياً باسلوب بسيط سهل العبارة .

القرن الثامن : برز فيه أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) والذي ملأ تفسيره للقرآن الكريم بالتفريقات اللغوية والنحوية ،حتى عُدّ االأوحد بين المفسرين في ذلك، و ما أضافه من ردود على الزمخشري في التفسير، ثم جاء الحلبي المتوفى سنة (٧٥٦هـ) الذي أضاف إضافة نوعية إلى التفسير بوقوفه حكماً بين شيخه أبي حيان والذين كان يعترض عليهم في تفسيره وبخاصة الزمخشري وابن عطية .

القرن التاسع : برز فيه الفيروز أبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ) بما أحدثه من نقله نوعية في التأليف في التفسير في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، كما برز فيه المقداد السيوري(٨٢٦هـ) الذي فسر القرآن حسب آيات الأحكام فقهيا وأصوليا وكلاميا فكان مدققا ومحققا في استنباطاته، فقد جمع الفوائد ونضد القواعد.

القرن العاشر : برز فيه السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) بكتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور حيث يعد هذا الكتاب أوسع كتاب ضم آراء المتقدمين من السلف في التفسير، وبهذا الكتاب حقق السيوطي نقلة نوعية في التفسير، كما برز المقدس الاردبيلي في شرح وتفسير آيات الأحكام (٩٩٣هـ) على مذهب الإمامية.

القرن الثاني عشر :)الألوسي المتوفى سنة (١٢٧٠هـ) بكتابه روح المعاني حيث يعد هذا التفسير آخر حلقة من حلقات التفسير القديم وصاحبه آخر من أدرك الخلافات الكلامية التي برزت في التفسير وآخذت منه حيزاً كبيراً .

وكل هؤلاء المفسرين أصحاب إضافات نوعية أو شكلية في التفسير سواء أكانت هذه الإضافة إيجابية أم سلبية . والحاصل أن هؤلاء من إعلام التجديد في التفسير في القرون السابقة[٢٦].

سابعا: أهمية التفسير:

علم التفسير هو علم يدرس كتاب الله، ويقوم على قاعدة إفهام الناس عما في مكنونه من الكنوز والخيرات، وهو علم يتوصل به العبد إلى المراد من الخطاب، وكذلك هو علم يعين العبد على تدبر كتاب الله، وهو أيضاً علم يستقى منه منهج الحياة، فيترجم ما يتلوه بعبادته وأخلاقه وفي كل حياته.

إذن، ما الفائدة من علم أصول التفسير الذي يعتبر أحد العلوم الخادمة للقرآن الكريم كعلم الرسم والتجويد والقراءات ونحو ذلك، بل هو خادم له في أهم الجوانب؛ ألا وهو فهمه وتدبر ما جاء فيه وفق منهج سليم؛ ولذا تظهر أهميته وفائدته من جوانب عديدة أبرزها ما يلي:

أولا: الوقوف على نشأة علم التفسير وتطوره، وجهود العلماء السابقين في خدمة تفسير القرآن الكريم، وما تميز به كل جهد، وكيفية الاستفادة منه في سعة الإدراك لمعاني القرآن الكريم، والوقوف على أسراره العظيمة .

ثانيا: معرفة المنهج السليم، والطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم، بما يراعي قواعد وضوابط السابقين، ويواكب روح عصرنا ومتطلباته.

ثالثا: الإلمام بالقواعد التي تعين المفسر على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً.

رابعا: معرفة اتجاهات المفسرين العقدية، والفقهية، والكلامية ، واللغوية، وكيف أثرت هذه الاتجاهات المتنوعة مكتبة التفسير في عصوره المختلفة.

خامسا: التسلح بالعلوم التي تمكن المفسر التصدي لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات حول تفسير القرآن،وعلى مناهج بعض المفسرين، بمعرفة المناهج والطرق الخاطئة في التفسير.

سادسا: العمل على دراسة مناهج المفسرين وتقويمها تقويماً سليما، ومعرفة قيمته العلمية، وما حققه من إضافة علمية [٢٧].

كما أن أهمية التفسير في واقعنا المعاصر تعاظمت لحاجتنا لحل كل ما تعانِيهِ أُمَّتُنَا مِنْ أَزَمَاتٍ مُتَلاحِقَةٍ ومَا تُوَاجِهُهُ مِنْ فِتَنٍ مُتَعَاقِبَةٍ، وما تكابِدُهُ من أعداءٍ يمكرون لها ليلَ نهار، وما تُقَاسِيهِ مِنْ فُرْقَةٍ وَشَتَاتٍ وضعفٍ وانهيارٍ، بسبب تفريطِهَا في الانتفاعِ بدستورِها الخالدِ ونِبْرَاسِهَا الراشدِ، فهو كتابِ ربِّ العالمين الذي جاء هدًى وشفاءً،وأن جُزْءًا من المسؤوليةِ تقعُ على عاتِقِ كثيرٍ من المفسِّرينَ الذين غَفَلُوا عن واقع الأمة فلم يعيشوا همومها ولم يكابدوا معاناتها، ولم يهتموا بأمورها ، ولم يتفاعلوا مع قضاياها واستحضار مطالبها.

إن مقتضى الحال من أهم مستلزمات الاتصال بين النّاس، فمخاطبتهم بما يفهموه أصبح من مستلزمات إقامة الحجة وإيصال البلاغ، فمن حكمة الله أن يرسل الرسول بما اشتهر به قومه وان يرسله بثقافتهم، وحاجتهم قال تعالى: ﴿إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾

إنَّ المطلوب من المفسرين في الوقت الحاضر هو رؤية عصر المسلمين واستخلاص حاجاتهم من داخل القرآن الكريم وليس تفسير القرآن االكريم بصرف النظر عن حاجات المسلمين ومطالبهم، فإذا كانت مشكلتنا الثقافية الرئيسة اليوم هي ثقافة الإرهاب والتبعية الفكرية فإن آيات العلم والحكمة والجدال بالتي هي أحسن هي التي يكون لها الأولوية في التفسير وليس تفسير الآيات بالاختلافات الفقهية واللغوية. وإذا كانت مشكلتنا الثقافية اليوم هو التسلط والقهر والطغيان فإنَّ آيات رفض النفاق والثورة على الذلة والمهانة يكون لها الأولوية المطلقة في التفسير على غيرها من الآيات. وإذا كانت مشكلتنا الثقافية أيضاً هي الفقر والجوع والبؤس والشقاء والحرمان وسوء التغذية والعرى والبطالة، فإنَّ آيات القرآن في منع تداول المال بين الأغنياء ومحاربة الربا وحق الفقراء في أموال الأغنياء والمساواة والعدالة الاجتماعية هي التي يكون لها الأولوية المطلقة في التفسير.

إذن، حاجاتنا في القرآن وما لا نحتاج إليه لا يقرَأه جيلنا بمعنى لا يفسره؛ لأنه لن يفهمه، فالفهم لا يتم إلا طبقا لثقافة ولحاجة أي تجربة اجتماعية وأزمة معاشة، وهكذا نجد في القرآن الكريم حاجاتنا ونفسر آياته طبقا لها، ثمّ يصبح القرآن الكريم كتاباً مقروءاً في حياة الناس اليومية وفي كل مرفق من مرافق الحياة[٢٨].

ثامنا: التجديد في التفسير ضرورة حضارية

المسلمون اليوم يجدون أنفسهم أحوج ما يكونون للعودة إلى القرآن الكريم قراءة وتدبرا واستنباطا، من أجل استئناف السير الحضاري، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك، باعتبار القرآن الكريم مصدرا مرجعيا في التشريع والمعرفة والأخلاق، وقد صار التجديد في الدين أمرا ضروريا، بل إنه يفرض نفسه بإلحاح، وإن أي تجديد لابد أن يتوجه إلى تجديد الفهم قبل أي شيء آخر، و أمراض الأمة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في الأمة ما هي في الحقيقة إلا أعراضا في فهم الدين، وخاصة في فهم نصوص الشريعة قرآنا وسنة.

فلابد من مراجعة شاملة ونقد الذات نقدا منهجيا جريئا للوقوف على مواطن الخلل في العقل الإسلامي، وكتاب الله تعالى قطعي الثبوت ظني الدلالة، وظنية الدلالة هذه مرجعها طبيعة القرآن الكريم المعجز، ذلك أن منه الواضح أو البيّن الذي تفهمه العرب من لغتها لبيانه ووضوحه، فهذا لا حاجة له إلى تفسير، ومن القرآن الكريم ما هو غير واضح، إما لاشتراك أو غرابة أو ظهور تشبيه، و هذا القسم هو المحتاج إلى التفسير و البيان.

الأول: أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليتعبد عامة الناس بتطبيقه لوضوحه و بيانه.

الثاني: أنزله الله لحكم متعددة منها ليتعبد العلماء بالاجتهاد فيه، و الاستنباط منه، لذلك أثنى الله على العلماء من عباده، و ليتعبد عامة الناس بتقليد العلماء فيما قرروه فيه [٢٩].

وقد بذل العلماء غاية جهدهم في فهم كتاب الله تعالى وتوجيه الفهم و حمايته من التحريف، وأخطر تحريف هو تحريف الفهم و التلاعب به، أما تحريف النص القرآني، فهذا مستحيل لتكفل الله تعالى بحفظ كتابه، قال تعالى: ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر و إنّا له لحافظون﴾ سورة الحجر ٩.

والذي يدفع إلى تحريف الفهم والتأويل الفاسد، هو موقع النص القرآني في أمة الإسلام بكل طوائفها ومذاهبها، إذ أن النص هو محور الفكر الإسلامي منذ النشأة إلى اليوم، وكل ما أنتجه الفكر الإسلامي لا يعدو أن يكون إما موثقاً للنص، أو مساعداً على فهمه، أو مستنبطاً منه.

وقد دأبت الحركات الإصلاحية، والتيارات الفكرية على استمداد مشروعيتها من النص، فلا تقبل فكرة أو دعوى ما لم يشهد لها النص بالصلاحية، ولذلك نرى الكل يلوذ بالنص و يلجأ إليه لاستمداد المشروعية، وهذا ما أعطانا فهما متعددا للقرآن الكريم قد تصل إلى حد التناقض"كل ما جاء به القرآن حق، ويدل على الاختلاف،

فالقول بالقدر صحيح و له أصل في الكتاب، والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب، ومن قال بهذا فهو مصيب، ومن قال بهذا فهو مصيب لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين، و احتملت معنيين متضادين"(٣٠).

والذي جعل مثل هذه الفهوم تكثر وتتعدد إلى حد الفوضى، و ضياع الحقيقة الشرعية بين أهل الأهواء و الضلالات، هو عدم وجود أصول و قواعد للتفسير تضبط الفهم عن الله تعالى.

فمثلا الحديث له أصول تضبط نقله، و كل المحاولات التي أرادت العبث بالسنة باءت بالفشل، و كذلك الفقه له أصوله التي تضبط عملية الاستنباط و التشريع، لكن التفسير بقي بلا أصول و لا قواعد تضبط وتحكم العملية التفسيرية، حتى إن البعض نزع عنه صفة العلمية، ولم يرتقي بعد إلى مستوى العلم، بمعنى أنه يفتقر إلى الجانب التنظيري .

وفي عصرنا الحالي، وفي محاولة بناء أصول وقواعد علم التفسير، أشار الدارسون المعاصرون إلى أن مباحث هذا العلم مبثوثة في علوم شرعية متنوعة، منها: علم أصول الفقه، والتفسير، واللغة العربية، فعلم أصول الفقه مؤهل لضبط العملية التفسيرية، على اعتبار أنه علم محكم البناء من حيث مصطلحاته و قواعده و مناهجه، و أن الأساس الذي بني عليه من حيث التدوين و التصنيف، إنما هو حل لمشكلة الفهم اللغوي الخاص، للدليل الشرعي، سواء من حيث مقاصده الدلالية، أو متعارضاته الإشكالية(٣١).

كما أنه امتاز بضبط قواعد الدلالة، حاصرا طرقها منطوقا ومفهوما، و مرتبا مراتبها نصا و ظهورا وإجمالا، ومفصلا فيما يتصل بالأحكام من وجوهها الأمر والنهي، و العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ومحددا شروط التأويل و قواعد الترجيح(٣٢).

على أن علم أصول الفقه، والبلاغة مؤهلين لضبط العملية التفسيرية، "ولله در التنزيل، لا يتأمل العالم آية إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر... لأن المقصود لم يكن مجرد الإرشاد لكيفية إجتناء ثمرات علمي المعاني و البيان، و أن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله من كلامه" (٣٣).

أما اللغة العربية فلأن النص القرآني هو نص لغوي، و أن الله – عز وجل – خاطب العرب بلسانهم، وعلى معهودهم في التخاطب و الكلام، وأن علماء العربية وهم يقعّدون قواعد النحو و الإعراب، كان في حسبانهم تحدي فهم الخطاب الشرعي، خاصة مع ظهور اللحن الصوتي و الصرفي، و أيضا المفهومي في ظل اتساع الرقعة الإسلامية، و دخول أمم أعجمية في الإسلام، وقل نفس الأمر في نشوء علم البلاغة، إذ كان تحدي الإعجاز القرآني حاضرا في أذهانهم.

فتحدي فهم و بيان معاني و أسرار القرآن الكريم كان حاضرا منذ زمن التأسيس و التقعيد اللغوي، وإن النص – أي نص– هو بناء لغوي قائم على قواعد اللغة و نظامها، مما يعطي للتحليل اللغوي أهميته في الكشف عن المعنى، لهذا فقد عد العلماء علوم اللغة أول العلوم التي يحتاج إليها مفسر القرآن الكريم، وإن قواعد التفسير"مكتسبة من تتبع لغة العرب"(٣٤).

والمقصود باللغة جميع مستويات الدرس اللغوي العربي كالأصوات، والصرف، والنحو، " إذ إنها مجتمعة، تكوّن أداة التحليل اللغوية الكبرى، ذلك أن هذه المستويات ترى منفصلة من حيث الصناعة، لأغراض منهجية فقط، في حين أنها تكون في مجملها الوسيلة الناجحة الكبرى لتحليل النصوص"(٣٥).

أما ما في كتب التفاسير، فالمقصود بها القواعد التي يضعها المفسّر، وهو يمارس عملية التفسير، في محاولة للتأصيل لمفهوم يريد تأصيله، أو في نقده لتفسير اختل فيه ضابط من الضوابط، أوفي مجالات أخرى(٣٦).

تاسعا: شروط التجديد في التفسير

إن مباحث وقواعد علم أصول التفسير تحتاج إلى بناء نظري منظّم، يحدّد و ينظم العلاقة بين مكوناته، متى و كيف نُعمل هذه القاعدة أو هذا الأصل، و ما هي مستويات ذلك، و هل كل القواعد على مستوى واحد في الكفاية التفسيرية؟ أي: فلسفة علم التفسير، ليرتقي إلى مستوى العلوم الناضجة، من حيث و القواعد و المناهج(٣٧).

التجديد في التفسير لا يعني الخروج عن القواعد والانفلات عن الشروط و الابتعاد عن الضوابط والمستلزمات التي يحتاجها المفسر في عملية التفسير؛ حتى تحقق الرغبات الذاتية للمفسر، ويتحقق التوافق والانسجام بين الرؤى والاختيارات التي يحملها وبين المعاني والدلالات التي جاءت محمولة في القرءان الكريم.إن هذا الشكل في التفسير مردود؛ لأن في هذا التفسير يعمد المفسر فيه إلى إسقاط اختياراته بالقوة على نصوص القرءان الكريم،فهو يضحي بالنص، علما أن نصوص القرآن الكريم لا تطاوع المعاني التي تنزل عليها بالقوة ولا سند شرعي أو دليل عقلي عليها ، أو لا تكون موافقة لطبيعة اللغة العربية في التخاطب أو لأصول الإسلام وثوابته وأصوله المجمع عليها؛ لأن هذه نصوص حاملة للبيان بذاتها واضحة بألفاظها وتراكيبها وجاءت لغاية ومقصد الإرشاد و الهداية، وهذا الاختيار والقصد في التفسير القائم على تحميل النص القرآني بما هو خارج عنه لا يتأتى إلا بخرق أصول وشروط وضوابط التفسير(٣٨).

بالمقابل فإن التجديد الصحيح و السليم في التفسير هو التجديد المنضبط بضوابط الشرع والقائم والمشيد على الأسس الصحيحة والدعائم المنهجية السليمة المشيدة على الأصول و القائمة على الضوابط والمتفق عليها بين

علماء الإسلام قديما وحديثا. وهي أصول توجد مؤصلة في كتب ومدونات التفسير خاصة المدونات التي اشتغلت على أصول التفسير[٣٩].

وتعد مقدمة في أصول التفسير للشيخ لإبن تيمية من ابرز المقدمات المنهجية التي تضمنت مجموعة من التوجيهات والتعليمات وحملت عددا من القواعد والإرشادات والأصول لتفسير النص القرآني وفق ضوابط الشرع و جاءت نصوص هذه المقدمة على شكل قواعد كلية وضوابط عامة مساعدة وراشدة على الفهم ومعينة على التلقي و كاشفة للشروط المعينة على الفهم الصحيح القرءان الكريم.... كما توجد هذه الضوابط في كتب أصول التفسير وهي أصول ظلت محل اتفاق بين علماء الأصول والتفسير قديما وحديثا و تعد إطارا أوليا و سندا مرجعيا في استمداد المعنى من القرآن الكريم وحكما موجها وسديدا في الفهم والاستنباط .

لكن مع ذلك لا بد أن نقول انه لا مانع من الاستفادة من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة والجديدة في التفسير والتي عرفت بدورها تطورا كبيرا في الآونة الأخيرة؛ لما في هذا العمل من إعانة في الفهم ومن توسيع للمعاني وإثراء للدلالات التي يحملها القرءان الكريم فصلا عن كون هذه العلوم أدوات مساعدة للمفسر في تنزيل القرآن الكريم على حاجات ومتطلبات الواقع الجديد.[٤٠].

إن استثمار علوم العصر في التفسير عملية مفيدة وهادفة وخادمة للقرآن الكريم في مقاصده العليا؛لأن من شان هذا الاستثمار أن يوسع الفهم والتدبر لآيات القرءان الكريم و يجعل القرآن الكريم يعيش زمنه و يتفاعل مع عصره، وهذا احد الخصائص الكبرى المميزة للقرآن الكريم ومفارقته للكتب ذات النتاج البشري.

كما لا يعني التجديد تحقيق نوع من القطيعة المعرفية مع كل ما بذل من جهود وقدم من اجتهادات و مساهمات وعطاءات رائدة في التفسير خاصة تلك المساهمات التي قدمها علماء التفسير المشهود لهم بالعلم والاستقامة وحملوها في مصنفاتهم وكتبهم [٤١].

تحت ادعاء أن هذه التفاسير لا تطاوع للعصر ولا تعمل على الخروج عن المألوف والمعتاد في التفسير[٤٢].

كما لا يغني التجديد الإعراض عن كل ما تحقق من إسهامات في تفسير القرآن الكريم بين المتقدمين والمتأخرين، والتشكيك في القدرات العلمية والمؤهلات المعرفية لعلماء التفسير الذي قدموا بدورهم اجتهادات رائدة في تفسيرهم للقرآن الكريم وفق الأصول الضابطة و المقررة بينهم[٤٣].

إن إعمال الرأي في التفسير مشروع بشروط أبرزها أن يكون التفسير موافقا لكلام العرب ويشهد له الكتاب والسنة ومدعما بنقول واجتهادات الصحابة والتابعين، ومعززا بالشواهد المأثورة ومسايرا لأصول التفسير وضوابطه، أما الرأي غير الجاري على اللغة العربية والعاري عن الأدلة الشرعية والبعيد عن الضوابط فهو رأي مذموم ومردود.

كما لا يعني التجديد في التفسير مسايرة الاختيارات الفاسدة لأصحاب القراءات الجديدة التي اتسم تفسيرهم لبعض الآيات بالتسرع وعدم الدقة والتناقض وذلك راجع إلى رغبتهم في تسويق مشاريعهم الفكرية على حساب القرآن الكريم وهو ما أدى بهم في نهاية المطاف إلى مصادرة المعاني الصحيحة للآيات المفسرة(٤٤).

إن العملية التفسيرية تحكمها مجموعة من الضوابط والأصول وعلى هذه الضوابط ينبني التجديد،من هنا فان كل تجديد اختار اختراق هذه الأصول فهو تجديد مردود (٤٥).

إن النتيجة التي يمكن الخروج منها بعد هذا التحليل الذي خصصناه للإشكال المنهجي في مشاريع القراءات الحداثية للنص القرآني هوان أصحاب هذه المشاريع رغم زعمهم أنهم يتوسلون بالمنهج العلمي في التحليل والحياد في الاستنتاج والموضوعية في البناء والتركيب، فقد تعارضت مقدماتهم مع نتائجهم واتسم تفسيرهم بالكثير من الاضطراب والتعارض والتناقض في تفسير الآيات و التسرع في استصدار الأحكام والإبهام في الاستنتاج(٤٦).

المبحث الثاني:

خطوات يجب على المفسر أن يتحلى بها

أولا : النية الخالصة لله وحده.

يجب أن يكون المفسر متوجه لله تعالى، وأن يعلم أنه يفسر كلام الله تعالى، وعليه أن يستشعِرَ خَطَرَ هذا العَمَلِ العظيمِ، ويُدْرِكَ قَدْرَ هذهِ المسئوليَّةِ،(٤٧)، لذلك فإن" أشرفَ صِنَاعَةٍ يتعاطاها الإنسانُ هي تفسيرُ القرآن الكريم (٤٨)؛ من جهات ثلاث، جهةِ الموضوع؛ لأن موضوعه كلامُ الله تعالى الذي هو يَنبُوعُ كلِّ حكمةٍ ومعدنُ كل فضيلةٍ " فيه نبأُ ما قبلكُم وخبرُ ما بعدكم وحكمُ ما بينكم لا يخلَقُ على كثرةِ الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبُهُ "، وأما من جهة الغرض: فلأن الغرضَ منه هو الاعتصامُ بالعروةِ الوُثقى والوصولُ إلى السعادة الحقيقيةِ التي لا تفنى، وأما من جهة شِدَّةِ الحاجةِ : أوشدةِ الحاجةِ إليها؛ لأنَّ بِهِ انتظامَ صلاحِ أحوالِ الدنيا والدين، وأن كل كمالٍ دينيٍّ أو دُنيويٍّ عاجلٍ أو آجلٍ: مفتقرٌ إلى العلومِ الشرعيةِ والمعارفِ الدينيةِ وهي متوقفةٌ على العلمِ بكتابِ اللهِ تعالى " (٤٩) .

ولقد أدرك تلك المعاني المفسرون الأوائل، فأقبلوا على كتابِ اللهِ تعالى تلاوةً وحفظًا وتدبُّرًا وفهمًا وعلمًا وعملا وَحُكْمًا وَدَعْوَةً وجِهَادًا، لجلالِ القرآنِ الكريم وعظمتهِ وأنه أشرف العلوم على الإطلاق وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتفاق هو علم التفسير لكلام القوي القدير (٥٠)، عن الإمام عليَّ بن أبي طالب (ع) : "ذكر جابر بن عبد الله ووصفَه بالعلم ، فقال له رجل: جُعلتُ فداءَك! تصف جابرًا بالعلم وأنتَ أنتَ؟!

فقال: إنَّه كان يعرِف تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ القصص: ٨٥ .

وروى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ عن ابنِ مسعودٍ قال:" كنا نتعلمُ من رسول الله (ص) العشرَ فلا نُجَاوِزُهَا إلى العَشْرِ الأُخَرِ حتى نعلمَ ما فيهَا مِنَ العلمِ والعملِ" [٥١].

فالآثار عنهم تدل على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَه﴾ آل عمران: من الآية١٨٧، بدليل الحديث المروي عن الرسول (ص) قال: " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يومَ القيامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ "[٥٢] ، وروى ابن جرير بسنده عن أبي الزناد قال : قال ابن عباس:" التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ : وجهٌ تعرفُهُ العربُ من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم" [٥٣]، من هنا يتجلى لنا مدى إدراك الأوائل لأهمية هذه المهمة، مما دفعهم إلى الحرصِ والاجتهادِ .

ثانيا : علم الموهبة

الاستعانة بالله والتوجه إليه سبحانه بإخلاصٍ، فالعلمُ والفهمُ فضلٌ إلهيٌّ، والحكمةُ عطاءٌ ربانيٌّ : " فإذا أقبلتَ على اللهِ تعالى بصدقِ نيةٍ ورغبةٍ لفهمِ كتابِهِ باجتماعِ هَمٍّ مُتَوَكِّلا عليهِ أَنَّهُ هُوَ الذي يفتحُ لك الفهمَ لا على نفسِكَ فيما تطلبُ ولا بما لَزِمَ قلبَكَ مِنَ الذكرِ لم يخيبْك من الفهمِ والعقلِ عنه إِنْ شاءَ اللهُ " [٥٤]، وعن ابن عباس: في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾البقرة:٢٦٩ . فالحكمةُ : المعرفةُ بالقرآن ناسِخِهِ ومنسُوخِهِ ومُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ وَمُقَدَّمِهِ ومُؤَخَّرِهِ وَحَلالِهِ وَحَرَامِهِ وأمثَالِهِ ، وعنه مرفوعا " الحكمةُ القرآنُ " يعني تفسيره[٥٥]، قال تعالى:﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فاطر:١، فالفتح الرباني على عبادِهِ هو فهمِ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر :٣١-٣٢، عن ابنُ مسعودٍ قال عن ابن عباس: " نِعْمَ تُرْجُمَانِ القُرْآنِ : ابنُ عَبَّاسٍ " [٥٦].

وهذا الفنَّ هو : " علمَ الموهبةِ " وعد عند المفسرين من أصولِ علمِ التفسير : وفي ذلك قال السُّيوطي: " قلتُ ولعلكَ تستشكلُ علمَ الموهبةِ وتقولُ هذا شيءٌ ليس في قدرةِ الإنسانِ وليسَ كمَا ظننتَ من الإشكالِ ، والطريقُ في تحصيلِهِ : ارتكابُ الأسبابِ الموجبةِ له من العملِ والزهدِ "، وقال الزَّرْكَشِيُّ : " اعلم أنه لا يحصُلُ

للناظرِ فهمُ معاني الوحي ولا يظهرُ له أسرارُهُ وفي قلبه بدعةٌ أو كبرٌ أو هوى أو حبُّ الدنيا أو وهو مُصِرٌّ على ذنبٍ أو غير متحققٍ بالإيمانِ أو ضعيفُ التحقيقِ أو يعتمدُ على قولِ مُفَسِّرٍ ليس عنده علمٌ أو راجعٌ إلى معقولِهِ ، وهذه كلُّهَا حُجُبٌ وموانعُ بعضُها آكدُ من بعض " [٥٧] .

ثالثا : العيشُ فِي رِحَابِ القُرْآنِ

بالتخلص من آفات النفس، فلا يكون من هم المفسر تخطئة السابقين، باعتقاده هيمنة القرآن الكريم عليه، فالمفسر الذي همه أن يبحث فيه عن دليل يعزز مذهبة أو فكرته ويتخذه وسيلة لتأييد مذاهبه قال تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ المائدة: ٤٨،لابد أن ترجع هيمنة القرآن له، بحيث تصبح الآراء والأفكار والأعمال مستنبطة من القرآن الكريم .

فمعايشةُ القرآنِ الكريمِ مِنْ أعظمِ السُّبُلِ إلى فهمِ أحكامِهِ والوقوفِ على معانيه وإدراك حِكَمِهِ ومراميه، ولقد أدرك العلماءُ قيمةَ تفسيرهم وأثنَوا على عمقِ فهمِهِم وَحُسْنِ تدُّبرهم : " فلقد كانت الآيات تتنزَّلُ في أمورٍ باشرُوها بأيديهم أو أبصرُوها بأعينِهِم ، أو خاضوا غِمَارَها فعاشوا حُلْوَهَا وَمُرَّهَا ، وَفَرَحَهَا وَحُزْنَهَا ، وكابدوا معاناتَهَا ، وأدركوا ملابساتِهَا ، فكانت الآياتُ تقعُ في قلوبهم مواقِعَهَا ، فعنها يَصْدُرُون ، وإليها يَرِدُون ورودَ الظامئ إلى الماءِ البارِدِ " [٥٨] .

فإذا درسَ القرآنَ "فَبِحُضُورٍ وَفَهْمٍ وعقلٍ، هِمَّتُهُ إيقاعُ الفهمِ لما ألزمه اللهُ من اتباعِ ما أمرَ والانتهاءِ عما نهى عنه وَزَجَرَ " [٥٩] .

وإنَّ مِنْ وسائلِ معايشةِ القرآنِ الكريمِ تتبعَ أسبابِ نزولِهِ وتدرُّجِ آياته، والنظرِ في أحوالِ من نزلَ القرآنُ في شأنهم، ومتابعة الظروفِ والملابساتِ ووقائعَ ونوازلَ، حتى يتم للمفسر أن يتَصَوَّرُ العصرِ الإسلاميِّ الأولِ، وواقعِ حالِ الذينَ كانت تتنَزَّلُ عليهم الآياتُ القرآنيةُ لتعليمِهِم وتوجيهِهِم وتربيتِهِم، ويدخل في هذا تَصَوُّرُ بيئتهم العامة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم بوجه عام، فتكون النتيجة تَصَوُّرُ الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول الآيات [٦٠].

خامسا : الموضوعية في البحث .

أن دخولِ التفسير بأفكارٍ وآراءَ يُفَسَّرُ القرآنُ على ضوئِهِ، هو تحميلِ النصوصِ ما لا تحتملُ و صرفِ الكلام عن مواضعِهِ ، فهذا المنهجُ لا ينتفع به [٦١]

أما من تجرَّدَ للحقيقة وأخلصَ في البحثِ عنها، وتدبَّرَ القرآنَ مُسْتَعِينًا بالله على فهمِهِ والانتفاعِ بِهِ فَقَدْ سَلَكَ طريقَ الهدى واتبع سبيلَ المؤمنينَ، فعلى المُفسِّر أن يتجرد في تفسيره لنصرة الحقِّ وأن ينشد الهداية والرشاد من

القرآن، أما من يقتحم هذا الميدان بنيَّة البحث عما يتعلَّلُ به لإرضاءِ نفسِهِ أو غيرِهِ بما هو عليه من ضلال كبير : فلن يزداد إلا ضلالا وبعدا ، " وليس لأحدٍ أن يَحْمِلَ كلامَ اللهِ ورسولِهِ على وِفْقِ مذهبِهِ إنْ لم يتبينْ مِنْ كلامِ اللهِ ورسولِهِ ما يدلُّ على مرادِ اللهِ ورسولِهِ وإلا فأقوالُ العلماءِ تابعةٌ لقولِ اللهِ تعالى ورسولِهِ ، ليس قولُ اللهِ ورسولِهِ تابعًا لأقوالِهِم" [٦٢] .

المبحث الثالث:

خطوات على سبيل حل الإشكالية في تجديد المنهج.

إن التجديد المطلوب الذي يرتق إلى الطموح لا يكون نقلاً للمادة من الكتب القديمة دون أي تغيير، وعدم الإغراق في البحث عن الجزيئات اللغوية والفقهية، وهذا جانب ضروري لكنه لا ينبغي الوقوف عنده والقول هذا هو التفسير، فقد جدت دراسات نفسية وبيانية تعنى بمشكلات الإنسان لا بد للمفسر من أن يكون ملماً بها؛ لأن مادة التفسير يجب أن تعالج قضايا الإنسان من خلال القرآن فالتفسير الموضوعي هو أفضل علاجً في هذا العصر لكونه ضرورة بأن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً وأن تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحاقة بها ثم ينظر فيها لتفسر وتفهم ، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده[٦٣]، في خطوة ايجابية هي إدماج التفسير التحليلي بالتفسير الموضوعي بحيث لا يكون تفسير الموضوع إلا بعد دراسة جادة للمفردات والتراكيب التي حملت ذلك الموضوع.

أما التفسير الإنساني الذي يلامس حاجات الإنسان من التفكير والشعور والأحاسيس، فلا ينبغي أن يكون التفسير سائقا للإنسان إلى ما كان عليه أصحاب القرون الأولى بل لا بد أن يكون قائدا له ليكون رياديا في زمانه، فغاية التفسير أن يتقدم بالإنسان ويعالج مشكلاته الحاضرة وهذا لا يتيسر إلا إذا أحس الإنسان أن قضاياه فاعلة في نفس التفسير وشاغله له عن أي موضوع، فما دامت حياة الإنسان قائمة، فمعضلاته مستعصية على الحل فأنعم الله تعالى عليه بالقرآن الكريم، لأن كل أسباب سعادة الدنيا والآخرة أرشد القرآن إليها حتى يبلغ الإنسان الكمال.

ولما كان القرآن الكريم رسالة عالمية للبشر كافة في كل عصر وزمان، فيلزم أن تتجدد دراسته وبيانه حسب حاجات الإنسان فلم يترك القرآن حاجة من حاجات الإنسان العظيمة أو اليسيرة إلا وعالجها بلا نقص، وفي أتم الكمال. فالتجديد في التفسير له ضوابط وضعها الأوائل من المفسرين وهي:

أولا: الدقة في النقل و التوثيق

ينبغي للمفسر أن يكون أمينا في نقله دقيقا، وأن يعزوَ الأقوالَ إلى قائِليهَا والأحاديثَ إلى راوِيهَا وأن تبرُزَ شخصيتُهُ فيما ينقلُ، وأن يكونَ على معرفةٍ بمصادرِهِ ودرايةٍ بما صُنِّفَ في التفسيرِ قديماً وحديثاً، ومناهجِ

المفسرين وطرائقِهِم واتجاهاتِهِمْ ؛ فإن " إضافةُ الأقوالِ إلى قائليهَا والأحاديثَ إلى مصنِّفيها فإنه يقالُ : مِنْ بركةِ العلمِ أن يضافَ القولُ إلى قائلِهِ وكثيرًا ما يجيءُ الحديثُ في كُتُبِ الفِقْهِ والتفسيرِ مُبْهَمًا لا يُعْرَفُ مَنْ أَخْرَجَهُ إلا مَن اطَّلَعَ على كتبِ الحديثِ فيبقى من لا خبرةَ لَهُ بذلكَ حائرًا لا يعرفُ الصحيحَ من السقيمِ، ومعرفةُ ذلك علمٌ جسيمٌ فلا يقبلُ منه الاحتجاجُ بِهِ ولا الاستدلالُ حتى يضيفَهُ إلى مَنْ خرَّجَهُ من الأئمةِ الأعلامِ والثقاتِ المشاهيرِ من علماءِ الإسلامِ ونحن نشيرُ إلى جُمَلٍ من ذلك في هذا الكتابِ واللهُ الموفقُ للصواب " [٦٤] .

وفي ذلك إن أراد المفسر أن يتبين وجهة نظر القرآن الكريم في مسألة من مسائل الحياة فيستحسن له أن يطالع ما كتب فيها قديما وحديثا بكل إمعان، ويحدد بوضوح ما لهذه المسألة من نواح أساسية ونقاط رئيسية، ويتعرف كذلك ما هو مبلغ تفكير الإنسان، ومدى ما وصل إليه في هذه المسألة عبر التاريخ وما هي جوانبها التي تطلب حلولا، وما هي النقطة التي لم يستطع التفكير الإنساني تخطيها حتى اليوم، وإذا تحقق له ذلك فله أن يدرس القرآن الكريم واضعا أمام عينيه الجوانب التي تطلب الحلول في هذه المسألة، فإنه يفاجأ بالردود على أسئلته في آيات قد قرأها عشرات المرات من قبل ولم يخطر بباله أن تلك الآيات تكمن فيها هذه الردود " [٦٥] .

ثانيا: مراعاةُ مقاصد القرآن الكريم .

القرآنُ الكريمُ رسالةُ الله إلى البشرِ، وفي ثناياهُ نظامٌ شاملٌ وتشريعٌ كاملٌ ومنهجٌ واقعيٌّ يُراعِي الفطرةَ الإنسانيةَ بما تحقِّقُهُ تعاليمُهُ من توازنٍ بين متطلباتِ الروحِ والجسدِ وبينَ مصالح الفردِ والمجتمعِ، منهجٌ أمثلُ يقودُ الإنسانيةَ إلى الخيرِ ويسعَى بها إلى الفلاحِ وَيَضْمَنُ لها السعادةَ في الدنيا والآخرة[٦٦].

فمراعاة مقاصد القرآن الكريم ضرورة لكون مرادُ اللهِ مِنْ كِتَابِهِ هُوَ بيانُ تَصَارِيفِ مَا يَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ مَقَاصِدِ الدينِ وقد أُودِعَ ذلك في ألفاظِ القرآنِ التي خاطَبَنَا بها خِطَابًا بَيِّنًا وَتَعَبَّدَنَا بِمَعْرِفَةِ مُرادِهِ والاطلاعِ عليه فقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ . **ص: ٩** ، ففي بيانُ ما يصل إليه أو ما يقصده من مُرَادِ اللهِ تعالى في كتابِهِ بِأَتَمِّ بَيانٍ يَحْتَمِلُهُ المعنى ولا يأباهُ اللفظُ مِنْ كلِّ ما يوضِّحُ المرادُ من مقاصدِ القرآنِ أو ما يتوقفُ عليه فهمُهُ أكملَ فهمٍ أو يخدمُ المقصدَ تفصيلا وتفريعا، مَعَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ [٦٧].

ثالثا: تنزيل الآيات على الواقع .

تنزيل الآيات على الواقع الذي نعيشه؛ ذلك أن القرآنَ الكريمَ يتواكبُ مع كلِّ عصرٍ من حيث عرضُهِ للعقيدةِ التي يتسلحُ بها المؤمنُ في مواجهةِ واقعِهِ في كل ما جاء به من تشريعات تناسبُ الواقعَ ، وتعالجُ النوازلَ والوقائعَ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ سورة الإسراء :٩، وتنزيلُ الآياتِ على الواقعِ يحتاجُ إلى جانبِ معرفةِ أصولِ التفسيرِ وقواعِدِهِ : الدرايةُ بالواقعِ المعاصِرِ ومتابعَةِ أحداثِهِ ومعايشَةِ هُمُومِهِ: فكتاب الله هو الهادي إلى كل خير، والمعين على فهم

كل قضية ويرشدنا القرآن الكريم إلى الأسلوب الأمثل فهو المعين الذي لا ينضب، وهكذا ينبغي على المفسِّر أن يُولِيَ اهتمامَهُ للقضايا الحيويَّة والنقاطِ الساخنة في واقعِ أمتنا، وأن يُعنَى الباحثون في التفسير الموضوعي بما يُلامِسُ واقعنا.

رابعا: النظرة الكلية الشاملة

لابدَّ للمفسر أن تكون له نظرة شاملة للقرآن الكريم، من خلال مدارسته للقرآن الكريم وحسن تدبره، واستحضار الآيات المتعلقة بموضوع واحد ، وإلى جانب هذه النظرة الكلية الشاملة للقرآن الكريم بوجه عام ، كذلك فعليه أن يتأمل في كلِّ سورة ويتدبر في مقاصدها وأهدافها قبل أن يشرع في تفسيرها ، مما يمنحه فكرة شاملة للسورة تعينه على تقسيمها وتحديد ملامحها ومعالمها ومحورها الذي تدور حوله والوقوف على سياق الآيات والقدرة على الاستنباط .

إذن؛ " لابد من أن تتوافر لمبتغي التفسير دراسةٌ شاملةٌ مفصلة ونظرة عامة لجوانب هذا الكتاب الكريم ، وهذه القاعدة منطلق في فهم أي نصٍّ فهما صحيحا، فلا يجوز أن نطيلَ الوقوفَ أمام جملة من النص، ونستنبط منها أحكاما ونغض بصرنا ونغلق فكرنا عن الجمل الأخرى"[٦٨].

وفي هذا المعنى: " والذين يرغبون في دراسته على نهجٍ قويم عليهم أن يستوعبوا قراءته في ختمتين لمجرد أن يلمع أمامهم نظامه للعقيدة ومنهجه العام ... كما عليهم أن يحاولوا خلال الدراسة الأولية تحقيق النظرة الإجمالية في مشاهد القرآن عامة " [٦٩] .

خامسا: ضرورة إبراز إعجاز القرآن العلمي:

القرآن الكريم كتابُ اللهِ المعجزِ في روعةِ أساليبِهِ ورفعَةِ مقاصِدِهِ، وفي تشريعاتِهِ الحكيمةِ وقَصَصِهِ وأمثالِهِ،في إنبائه عن الأمور الغيبية، في تناسُبِهِ وتناسقه وخلوه من التناقض والاختلاف، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء:٨٢،كما انه كتابُ الله المعجز في حديثه عن آيات الأنفس والآفاق وسبقِهِ لجميع العلوم : قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ فصلت : ٥٣-٥٤.

ولا يعني ذلك أن ننقضَ ما قرره المتقدمون من معانٍ واستنباطاتٍ لا تخالف الحقائقَ العلميةَ الثابتةَ؛ فالقرآن الكريم خطابُ الله تعالى وحجتُه البالغة لكلِّ العصور، وحمال وجوه، وقد فهم كلٌّ مفسرٍ بقدر ثقافة عصره وما حضره من علمٍ وفهمٍ، ثم جاء العلم الحديث فكشف عن وجوهٍ ومعانٍ لم يدركها السابقون، وكلما تقدم العلمُ التجريبي كلما تجلت لنا وجوهٌ جديدةٌ من وجوهِ الإعجازِ القرآنيِّ [٧٠].

فينبغي عدم الخلط بين النظريات محلِّ البحثِ والدراسة وبين الحقائق العلمية الثابتة ، فتراهم يُفسِّرون القرآن بالنظرياتِ، مع كونِهَا عرضةً للتغييرِ أو التعديلِ، وهذا إقحام لآيات القرآن، وعدم التكلُّفُ في تحميلِ النصوصِ ما لا تحتمله حرصًا على ربطها باكتشافِ علميٍّ .

كما ينبغي عدم تحليلُ المعجزة أو الكرامة تحليلا علميا يتوافق مع نواميس الكون، علما بأن المعجزة أمر خارق للعادة فلا تخضع لقوانين الحياة [٧١]، ففي هذا لا يمكن تعليلُ الخوارق أو الغيبيات تعليلا ماديا علميا، وربما ساعد العلم في تقريب بعض الأمور الغيبية التي وردت في القرآن إلى الأذهان .

سادسا : مراعاةُ سماتِ الخطابِ القرآنيِّ وَتَنَوُّعِهِ :

ومن واجب المفسِّر مراعاة التنوع في الخطاب فيجعل تفسيره جامعا لكل هذه الأساليب القرآنية التي تستوعب جميع المخاطبين: قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل:١٢٥، فالخطابُ القرآنِيِّ خطابٌ عالميٌّ موجَّهٌ إلى الإنسانيةِ بأسْرِهَا بَلْ وإلى الثَّقَلَينِ معًا : قال تعالى ﴿ قلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ سورة الأنعام : ١٩، قال عز وجل ﴿ ومَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ يس:٦٩ ، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ . فَقَالُوا : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَ فَضَّلَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ؟. قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ (ص) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ [٧٢] . والقرآنُ الكريم خطابُ اللهِ عزَّ وجلَّ لجميعِ الناسِ على اختلافِ مدراكهم وَتَنَوُّعِ ثَقَافَاتِهِمُ، وتفاوُتِ أعمارِهم، واختلافِ ألسنتِهِمْ وأجناسِهِمْ، خطابٌ للعربيِّ والعجميِّ، وللقارئ والأميِّ والذكر والأنثى؛ فهذه أمُّ سلمةَ لما سمعت النبيَّ (ص) ينادي قائلا : " يا أيها الناسُ " والجارية تمشِّطُهُا قالت : اسْتَأْخِرِي عَنِّي، فقَالَتْ لها الجاريةُ : إِنّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقالت: إِنِّي مِنَ النَّاسِ [٧٣]، والقرآن الكريم خطاب العقل والضمير، وهذا التنوعُ يستوعبُ جميعَ العقول والمدارِك، ويصلُ إلى القلوبِ، ويؤثر في النفوسِ، ويناسب جميع الطبائع .

والخطابُ القرآنيُّ، يتناسبُ مَعَ كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ ويتواكَبُ مَعَ كُلِّ جِيلٍ وَقَبِيلٍ، بَلْ وَيَسْبِقُ العُصُورَ ويتجاوَزُ الدُّهُورَ، فَهُوَ رِسَالَةُ اللهِ الخالدةِ، وآياتُهُ المتجدِّدَةُ ، ومأدُبَتُهُ العامِرَةُ، وَحُجَّتُهُ البَالِغَةُ.

ووجوهُ الخطابِ في القرآنِ الكريمِ كثيرةٌ ومتنوعةٌ، عَدَّهَا العلماءُ المحققونَ نحو نيّف وثلاثين نوعاً، وهي: من بين هذه الوجوه وأهمها: خطاب العام، والخاص، وخطاب الجنس، والنوع، والعين، وخطاب المدح، والذم، وخطاب الكرامة، والإهانة، وخطاب الجمع بلفظ الواحد، وخطاب الواحد بلفظ الجمع، وخطاب الواحد والجمع بلفظ التثنية، وخطاب الاثنين بلفظ الواحد، وخطاب العين المراد به غيره، وخطاب التلون:الالتفات وهو على ثلاثة

أوجه: وخطاب الاعتبار، وخطاب الجمادات وخطاب العقلاء، وخطاب التهييج، وخطاب الإغضاب، وخطاب التحريض، وخطاب التنفير، وخطاب التحنُّن، والاستعطاف، وخطاب التحبيب، وخطاب التعجيز، وخطاب التحسير، وخطاب التكذيب، وخطاب التشريف [٧٤]، وفي هذا دلالةٌ على ثَرَاءِ وتَنُّوُعِ الخطابِ القرآنيِّ ، وصلاحِهِ لكلِّ زمانٍ ومكان وتناسُبِهِ مع كلِّ جيلٍ وقبيلٍ ، وتدرُّجِهِ فنجدُ الخطابَ المكيَّ والخطابَ المدنيَّ .

سابعا : التفسير بين الأصالة والتجديد

الأصالة هي الركيزةُ الأساسيةُ ونعني بذلك الرجوعِ إلى المصادرِ الأصيلةِ في التفسير : تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ ، فالقرآنُ الكريمُ يفسِّر بعضُهُ بعضًا، وهذا يؤكدُ أهميةَ النظرةِ الكليَّة الشاملة والموضوعية لآيات القرآن الكريم، فحين نجمعُ الآياتِ في الموضوعِ الواحدِ تتولَّدُ لدينا كثيرٌ من المعاني والاستنباطاتِ، هذا فضلا عن تفسيرِ القرآنِ الكريم بالسنةِ النبوية فهي الشارحة والمبينةُ والمقررة لأحكامه ومعانيه ومقاصده ومراميه وقصصه وأمثاله، ومن المصادر الأصيلة أيضا تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة وقد سبق الإشارة إلى أهمية تفسيرهم وقيمته العلمية، وكذلك الرجوع إلى تفسير التابعين فهم تلامذة الصحابة وحاملو علمهم وفقههم، وقد اجتهدوا بين أيديهم فأقروهم على اجتهادهم، ثم تتبع منهج الذي يرتكز على تفسير السلف ولا يتوقف عنده وإنما يجعله منطلقا، الأصالة في المصادر : بالرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور والرأي فلا يمكن أن يفسر القرآن بعيدا عما كتبه المتقدمون من هذا التراث الذاخر الذي أثرى مكتبة التفسير وعلوم القرآن ومن شمولية في المنهج أن يرجع إلى كل ما يتيسرُ له الرجوعُ إليه من كتب التفسير.

أما التجديد في التفسير: الإطلاع على العلوم العصرية بما يمكن المفسر من إبلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس إذ لا يعقل أن تجري أحداث وتستحدث علوم ربما يرتبط بعضها بكتاب الله تعالى والمفسر آخر من يعلم .

فهو أمرٌ ضروريٌّ ؛ لمواكبةِ رُوحِ العصرِ ومعالجةِ قضاياه وتقديمِ الحلولِ الحاسمةِ لمشكلاتِهِ المزمنةِ وأزماتِهِ المتفاقِمَةِ وأمراضِهِ التي استعصتْ على تلك الحلولِ المستوردةِ، القاصرةِ البعيدةِ عن هدي القرآن الكريم .

كتفسير آيات العقيدة تفسيرا واضحا، يعمِّقُها في النفس ويرسِّخُها في القلبِ ليزدادَ المؤمنون إيمانًا مع إيمانِهم مع تجنب مزالق المتفلسفين وتلاشي متاهات المتكلمين ، ومع مراعاة ثقافة العصر ومعطياته، إذ لا تعارض بين العقيدة الصحيحة والحقائق العلمية الثابتة بل إن العلم يهدي إلى الإيمان ويرقى به ، والإيمان يدعو إلى العلم ويتسامى به،" ... فلا بدَّ أن يستعين بالعلوم والمعارف والثقافات الحديثة ، وأن يلم منها بطرف موجز ، وأن يطلع منها على مسائل وقضايا ذات ارتباطٍ بآيات القرآن ؛ وذلك حتى يوظف هذه العلوم والمعارف في خدمة النصِّ القرآني وتوسيعه وزيادة أبعاده ودلالاته " [٧٥]

كما لا نغفل عن التجديد في تفسير آيات الأحكام بعرضها، بدون الاستطراد إلى التفريعات والركون إلى الافتراضات، بل العنايةُ بالقضايا المعاصرة والنوازل والمسائل المستجدة في شتى المجالات في الطب والهندسة

الوراثية والعلاقات الدولية والاقتصاد وأصول الحكم والإعلام والفنِّ الهادف البنَّاء، وغيرها من الأمور والمستجدات التي لا بد من معالجتها بالمنظور القرآني فهو المصدر الأول للتشريع وهو الميزانُ الدقيقُ الذي نضْبِطُ به المصطلحاتِ ونعرفُ من خلاله دقائق المعاني .

مع التركيز على مقاصد التشريع وحِكَمِهِ والردِّ على ما أُثِيرَ حولَ الشريعةِ من شبهاتٍ وأباطيلَ، " ونعني بالتجديد في التفسير : التجديدَ الصحيحَ السليمَ، المنضبطَ بالضوابطِ العلميةِ، الملتزمَ بالأسسِ المنهجية، التجديدَ القائمَ على الإبداع والتحسين والجِدة، والاستفادة من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة، وتوسيع أبعاد معاني الآيات القرآنية، وتنزيلها على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حلِّ مشكلات الأمة، على هدي حقائق القرآن الكريم، ولا نعني بالتجديد الخروج على القواعد والضوابط والأسس العلمية المنهجية، والانفلات والفوضى، والقولِ في القرآنِ بدونِ علمٍ وتحريفِ معاني الآياتِ ودلالاتِهَا لتوافقَ أهواءَ ومقررات الغربيين أو الشرقيين المخالفة لكتاب الله تعالى " [٧٦].

تاسعا : تجنب الاستطراد إلى ما لا صلة له بالتفسير .

كذلك ينبغي على المفسر أن يلتزمَ بتفسيرِ النصِّ القرآنيِّ ، دون الاستطراد إلى ما لا صلة له بالتفسير ، حتى لا يبتعد عن مقاصد القرآن وأهدافه ومعانيه؛ كما فعل بعض المفسرين الذين جنحوا إلى موضوعات وقضايا لا صلة لها بالتفسير .

إن تفسير القرآن الكريم في ضوء العلوم والمعارف الإنسانية شيءٌ لا غبار عليه، وكذا التبحرُ في لغةِ القرآنِ الكريم، والإبحارُ مع وجوهِ قراءاتِهِ، والأنسُ بجمالِ وبلاغةِ عباراتِهِ أمرٌ مستحبٌّ؛ فالقرآنُ معينٌ لا ينضب، ولا يخلق على كثرة الردِّ ولا يشبعُ منهُ البلغاء ولا تنقضي عجائبه، ولكنَّ الأمةَ في حاجةٍ مُلِحَّةٍ إلى تفسيرٍ عمليٍّ واقعيٍّ ينهضُ بها ويُعالجُ مشكلاتِهَا، علماً بأن هذا المُفَسِّرَ لن يستغْنِيَ أبداً عن الرجوعِ إلى اللغةِ والبلاغةِ والقراءاتِ وغيرِهَا من العلومِ ليأخذَ منها بقدرِ ما يُبَيِّنُ معنى أو يستنبطُ فائدةً أو يدفع إشكالاً، أما التفاسير البلاغية واللغوية والفقهية، فلا استغناء عنها، وعلى كلِّ متخصصٍ أن يُدلي بدلوهِ في خدمة كتاب الله تعالى مع مراعاة مقتضيات العصرِ وحاجاتِ الأمة .

لكنَّ بعضَ التفاسير مع ما عليها من انتقادات ومآخِذَ لا يمكنُ لنا أن نستغنيَ عنها، فهي من المراجع الأساسية لكلِّ باحث في التفسير ولكن لنستفيد منها ونجعلها منطلقا نحو تفسيرٍ واقعي يعايشُ واقع الأمةِ .

عاشرا : تجنُّب الأخطاء التي وقع فيها بعضُ المفسرين :

لابد أن يُجَنِّبَ تفسيرَه الأقوالَ الشاذةَ، والأخطاءَ والمآخذَ التي أُخِذَتْ على بعض المفسرين القدامى والمحدثين، فخاضوه دون أن يعرفوا قواعده وأصوله ودون أن يتعمقوا في دراسة لغة القرآن الكريم، وينظروا في الصحيح من

أسباب نزوله، ويعرفوا أحوال العرب وعاداتهم قبل في الجاهلية ؛ وذلك لأن القرآن نزل بلغة العرب وعالج شئونهم، وتحدث عن عاداتهم وأعرافهم، وجاء مراعياً لبيئاتهم ومجتمعاتهم " فإذا لم يكن المفسر عارفا بأحوالهم حالة التنزيل، لم يستطع أن يفهم معاني الآيات حقَّ الفهم، ولا أن يدركَ أثر القرآن العظيم في تغيير حياتهم وما كانوا عليه من عادات فاسدة " [٧٧] .

فلا يحق لمن لم يتعمَّق في دراسة لغة القرآن الكريم أن يتصدى لتفسيره ، " واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ولا يكفى فى حقه تتعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر "، وإن " أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعارف لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه وليس نافعا في علم القرآن الكريم فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكام، وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة " [٧٨]

وللقرآن أيضا عرف خاصٌّ ومعانٍ معهودة لا يعرف إلا من طال وقوفه أمام ألفاظه وعباراته وأساليبه وتدبُّرُه لمعانيه [٧٩]، كذلك من أسباب الخطأ والقصور في التفسير الغفلة عن سياق الآيات.

حادي عشر :مراعاة قواعد التفسير وأصوله .

مما تقدم هذه هي أحكامٌ كليةٌ تعينُ على فهمِ القرآنِ واستنباطِ أحكامِهِ، فلا بد للمفسرِ أن يكون على درايةٍ بأسس التفسير التي أشار إليها المفسرون الأوائل، فمن خلالها يستعينُ على فهمِ كلامِ اللهِ واستخلاصِ المعاني واستنباطِ الأحكامِ والوقوفِ على العِبَرِ والفوائِدِ، ويتجنَّبُ الأخْطَاءَ التي وَقَعَ فيها بعضُ المفسرين . " ومعلومٌ أن تفسيرَه يكونُ بعضُهُ من قبيلِ بَسْطِ الألفاظِ الوجيزةِ وكَشْفِ معانيها ، وبعضُهُ من قبيلِ ترجيحِ بعضِ الاحتمالاتِ على بعضٍ لبلاغتِهِ ولُطْفِ معانِيه ولهذا لا يُسْتَغْنَى عن قانونٍ عامٍّ يُعَوَّلُ في تفسيرِهِ عليه ويُرْجَعُ في تفسيره إليه : مِنْ معرفةِ مفرداتِ ألفاظِهِ ومركباتِهَا وسياقِهِ وظاهِرِهِ وباطِنِهِ وغيرِ ذلكَ مما لا يدخلُ تحتَ الوهمِ ويدِقُّ عنه الفهمُ ...وفى هذا تتفاوتُ الأذهانُ وتتسابقُ في النظرِ إليهِ مسابقةُ الرِّهَانِ فَمَنْ سَابَقَ بِفَهْمِهِ وَرَاشَقَ كَبِدَ الرَّمِيَّةِ بِسَهْمِهِ وآخرُ رَمَى فَأَشْوَى وَخَبَطَ في النَّظَرِ خَبْطَ عَشْوَا كما قيل : وأينَ الدقيقُ من الركيكِ ! وأين الزُّلالُ من الزُّعاقِ ... " [٨٠] .

الخاتمة والنتائج

١- ضرورة البحث في احتياجات العصر في القرآن الكريم من خلال الأهدافِ التي قَصَدَهَا من التفسير كالحديثُ عن الوحدةِ الموضوعية للقرآن الكريم حديثا موسَّعًا؛ يعين على فهم القرآن الكريم ويبرز جانبا هاما من جوانب إعجاز النظم القرآني.

٢- الردُّ على شبهات المستشرقين حول ترتيب القرآن الكريم ووحدته الموضوعية ٠

٣- الإجابةُ على كثير من التساؤلات التي تتردد في هذا العصرِ، والاستفادةُ مِنَ العُلُوم العصرية، وبيانُ موقفِ القرآنِ الكريم منها ٠

٤- تكوينُ الشخصيَّةِ المسلمةِ التي تحققُ بمعاني القرآن الكريم، وتترجِمُهُ إلى واقعٍ عمليٍّ، وإذا وُجِدَ الفردُ المسلمُ على هذا الأساسِ فسوف توجَدُ الأُمَّةُ المسلمةُ التي تستحقُّ النصرَ والتمكينَ، وتُؤَدِّي دورَهَا في هذا الوجود.

٥- ضرورةِ التيسيرِ على القارئِ المسلِمِ، واستخلاصِ الفوائدِ من أمهاتِ كتبِ التفسيرِ؛ لأنَّ المسلمَ المعاصرَ يُعْجِبُهُ أن يأخذَ خلاصَةَ التحقيقِ بأدِلَّتِهِ المباشِرَةِ، أَمَّا التحقيقُ نفسُهُ فَيُمْكِنُ للمتخصِّصِينَ أن يرجِعُوا إِلَيهِ في مواضِعِهِ .

٦- عرضُ العقيدةِ الإسلاميةِ عرضًا صحيحًا بعيدًا عن تأويلِ الجاهلينَ وانتحالِ المبطلينَ، وخاليا من المشكلاتِ الكلاميةِ والتعقيدات الفلسفيةِ مع الردِّ على الملِ والنِّحَلِ المخالفةِ للإسلامِ.

٧- أن التجديد مطلب ملح جدا لكن بضوابط محددة حتى لا يخرج عن الضوابط والأسس.

٨- النهوض بمجموعات علمية تتشكل لإعادة تقويم ما عوج من التراث وتنقيته من شوائب البحث العالقة به

٩- من الضروري أن يختار مدرس التفسير بعناية حتى يؤدي الدور المطلوب منه على أكمل وجه

١٠- التشمير عن ساعد الجد لتنقية كتب التفسير من الأحاديث الموضوعة ومن الإسرائيليات التي ملئت بها صفحات بعض الكتب.

١١- لا بد من إعادة النظر في الخطط الدراسية الموضوعة في مواد التفسير في الجامعات والمعاهد حتى تكون جادة ومفيدة.

مراجع البحث

القرآن الكريم

١. أبجد العلوم في بيان أحوال العلوم : تأليف : صديق بن حسن القنوجي ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨.

٢. اتجاهات التجديد في تفسير القرءان الكريم، محمد إبراهيم الشريف .دار السلام،٢٠١٠.

٣. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور فهد الرومي الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ .

٤. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، البابي الحلبي بالقاهرة .

٥. اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه، الشرقاوي، بحث محكم بحولية كلية أصول الدين والدعوة عدد١٨ سنة ١٤٢٦هـ وعلى موقع صيد الفوائد وملتقى أهل التفسير.

٦. أخلاق حملة القرآن، الآجري محمد بن حسين الآجري (ت ٣٦٠ هـ)، دار الكتاب العربي، تحقيق فؤاد الزمرلي.

٧. أصول البحث، عبد الهادي الفضلي، دار المؤرخ العربي، ط١-١٤١٢، بيروت.

٨. أصول التفسير، محاولة في البناء، عمر بن حماد.دار السلام ، ٢٠١١م.

٩. أصول الفقه،محمد رضا المظفر: محمد رضا بن محمد المظفر(ت ١٣٨٣ هـ)،منشورات مكتب الحوزة العلمية- ط٤-١٣٧٠هـ- قم.

١٠. الإكسير في علم التفسير، نجم الدين الطوفي، حققه عبد القادر حسن،مكتبة الآداب بالقاهرة.

١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، دار الجيل بيروت.
١٢. بحوث في أصول التفسير، محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي بيروت.
١٣. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط١، ١٩٩٦
١٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط البابي الحلبي
١٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي(ت٨١٧ هـ)المكتبة العلمية بيروت .
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدبن أبى الفضل السيد محمد المرتضى الحسينى (ت ١٢٠٥ هـ) ط المطبعة الخيرية بجمالة مصر ١٣٠٦ هـ
١٧. تأويل مختلف الحديث، إبن قتيبة، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
١٨. التجديد في التفسير حاجة ضرورية، محمد البويسفي، على موقعhttp://islamselect.net/
١٩. التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً،جمال ابو احسان،إهداء لمكتبة شبكة التفسير والدراسات، القرآنية، www.tafsir.net
٢٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس .
٢١. تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي، ط ٢، ١٤٢٣هـ .
٢٢. تطور تفسير القرآن، محسن عبد الحميد، جامعة بغداد، ١٤٠٨هـ.
٢٣. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط دار القلم ١٤٢٣هـ .
٢٤. التعريفات، الجرجاني، تحقيق محمد بن عبد الكريم القاضي، القاهرة ١٩٩١ .
٢٥. تفسير القرآن العظيم،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير(ت ٧٧٤ هـ)، دار التراث العربي.
٢٦. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، علي بن سليمان العبيد، ط مكتبة التوبة ١٤١٨هـ
٢٧. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
٢٨. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
٢٩. تفسير الماتريدي، الماتريدي، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية،٢٠٠٥م.
٣٠. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.
٣١. التفسير ورجاله،ابن عاشور، ط مجمع البحوث الإسلامية بمصر، العدد الرابع عشر.
٣٢. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الريان للتراث، ودار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .
٣٣. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م .
٣٤. حاجة العصر وتفسير القرآن، رائد عبد دراج، على موقع أهل التفسير.

٣٥. دعاوي الطاعنين في القرءان الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ،عبد المحسن بن زين المطيري دار البشائر.٢٠٠٧.
٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٧. زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٦ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت ط١ سنة ١٣٨٥ هـ
٣٨. السنن، أبي داود أبو داود سليمان بن شعث السجستاني الأزدي (ت ٢٥٧ هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٣٩. السنن، الترمذي(ت ٢٩٧ هـ)، دار الفكر ١٤٠٨هـ
٤٠. السنن، الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ، ط ١.
٤١. الصحاح، (ت٣٩٣هـ)،تحقيق أحمد عبد الغفور - دار العلم للملايين -ط٤- ١٤٠٧ هـ، -بيروت.
٤٢. الصحيح، البخاري، دار الكتب العلمية بيروت.
٤٣. الصحيح، مسلم بشرح النووي ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٤. علم الانتصار للقرآن، محاولة في التقعيد لدكتورة سهاد قنبر، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية. الرياض فبراير ٢٠١٣.
٤٥. علم التفسير، أصوله وقواعده ، خليل الكبيسي.مكتبة الصحابة الشارقة ،٢٠٠٧.
٤٦. العلمانيون والقرءان الكريم، تاريخية النص لأحمد الطعان .دار ابن حزم الرياض :٢٠٠٧.
٤٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، ط ١ البابي الحلبي سنة ١٣٥٠.
٤٨. فهمُ القرآنِ ومعانيه، أبي عبدِ الله الحارثِ بن أسدِ بنِ عبدِ اللهِ المحاسبيِّ (ت ٢٤٣هـ)ط ٢ دار الكندي ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ
٤٩. القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي ط المكتبة التجارية الكبرى ط٥ ٠
٥٠. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط ٢ دار القلم دمشق ١٤٠٩هـ
٥١. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي ، بيروت، د.ت .
٥٢. لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت٧١١هـ). طبع دار أحياء التراث العربي. منشورات، مؤسسة أدب الحوزة - ١٤٠٥هـ.
٥٣. مبادئ أساسية في فهم القرآن، المودودي، ترجمة خليل حامدي، ط دار القلم بالكويت، ط ٣، ١٣٩١ هـ
٥٤. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط الرياض.
٥٥. محيط المحيط ، بطرس البستاني : ، ط ٣، بيروت ١٩٩٣

٥٦. مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي ط دار مصر
٥٧. المصطلح الأصولي عند الشاطبي، فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠١٤م، تقديم الشاهد البوشنجي.
٥٨. معالم التنزيل، البغوي الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت .
٥٩. معالم في الطريق، سيد قطب، ط دار الشروق بالقاهرة .
٦٠. معايير القبول والرد في تفسير القرآن الكريم، عبد القادر محمد الحسين، دار الغوثاني دمشق ،٢٠١٢م.
٦١. معجم مصطلحات المنطق، جعفر باقر الحسيني،دار الاعتصام للطباعة والنشر– ط١.
٦٢. معجم مقاييس اللغة،ابن فارس احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ هـ)،تحقيق عبد السلام محمد هارون–ط١دار إحياء الكتاب العربي١٣٦٦هـ القاهرة.
٦٣. مجمع البحرين ، الطريحي تحقيق، أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية. ط٢– ١٤٠٨ هـ
٦٤. مفاتيح للتعامل مع القرآن، صلاح الخالدي، دار القلم دمشق، ط ٤ سنة ١٤٣٦ هـ.
٦٥. مفتاح العلوم، السكاكي، المحقق،عبد الحميد الهنداوى، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠، الطبعة١.
٦٦. المفردات، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ط دار المعرفة بيروت.
٦٧. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيار، دار المحدث، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ
٦٨. مقدمة التفسير، ابن تيمية، ط المكتب الإسلامي .
٦٩. من مجلة قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية ، نصر محمد عارف،مقدمة العدد(١٢).
٧٠. من محاذير التفسير سوء التفسير والتأويل، يوسف القرضاوي مجلة إسلامية المعرفة:العدد الثامن والتاسع السنة :١٩٩٧.
٧١. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، أمين الخولي، القاهرة.
٧٢. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط دار الفكر.
٧٣. منهج الشيخ سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير " رسالة تخصص – بجامعة الأزهر – كلية أصول الدين بالمنصورة ، نوقشت سنة ١٩٩٤ إعداد أحمد محمد الشرقاوي.
٧٤. منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ستار جبر حمود، طبع النجف الأشرف–٢٠٠٦م.
٧٥. منهجية الاشكالية ، تعريف ،اختيار، خصائص، مصادر الافكار، د وفولة بوخميس، wadilarab.com. منتدى وادي العرب
٧٦. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ط ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م، مطبعة السعادة .
٧٧. نبذ من مقاصد الكتاب العزيز،العز بن عبد السلام ت٦٦٠هـ بتحقيق عبد الرزاق الشوا توزيع مكتبة الغزالي دمشق .
٧٨. نحو تفسير موضوعي للشيخ محمد الغزالي ط دار الشروق .

٧٩. نحو منهج أمثل لتفسير القرآن،أحمد بن محمد الشرقاوي، مقدَّم للمؤتمر الإسلامي العالمي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا-١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٨٠. نظرية الوحدة الموضوعية من خلال الأساس في التفسير مستلٌ من رسالة منهج الشيخ سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير على موقع صيد الفوائد وملتقى أهل التفسير .

الهوامش

[١]- ابن منظور، لسان العرب:مادة فسر، وظ: تاج العروس، الزبيدي، وظ: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ،وظ: مختار الصحاح، الرازي .

٢- ظ: مناهل العرفان، الزرقاني:٢٣.

٣-ظ: محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن

٤- جمال أبو حسان، التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً17:

[٥]-ظ: فهمُ القرآنِ ومعانيه، المحاسبيّ:٥٦

[٦]- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيار

[٧]- جمال أبو حسان، لتجديد في التفسير مادة ومنهاجاً:

٨- جمال أبو حسان، التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً17:

[٩]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ، فهد الرومي

١٠- ظ: الجوهري ، الصحاح:١ / ٣٤٦،وظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣٦١،وظ: ابن منظور ، لسان العرب: ٢/ ٣٨٣.

١١-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٦١.

١٢-ظ: الطريحي ، مجمع البحرين: ٤/ ٣٣٢.

١٣ - جعفر باقر الحسيني- معجم مصطلحات المنطق: ٣١٦.

١٤- ظ: نصر محمد عارف- مقدمة العدد(١٢) من مجلة قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية:٨.

١٥- ظ: أصول الفقه ،الشيخ محمد رضا المظفر ١ / ٣١.

١٦- ظ:عبد الهادي الفضلي-أصول البحث:٥٢-٦٦.

١٧- ظ:المصدر نفسه:٦٧.

١٨- عبد الهادي الفضلي-أصول البحث:٢٤٠.

١٩ - ظ: ستار جبر حمود- منهج المتكلمين في فهم النص القرآني:٢٠.

٢٠ - ظ: نصر محمد عارف- مقدمة العدد(١٢) من مجلة قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية:٨.

٢١-ظ: لسان العرب، ابن منظور،وظ: الصحاح، الجوهري.مادة شكل

٢٢- ظ:بطرس البستاني : محيط المحيط، ط ٣، بيروت ١٩٩٣ ص ٤٧٧

٢٣-ظ: د.بوفولة بوخميس، المصدر :منهجية الاشكالية : تعريف ،اختيار، خصائص، مصادر الافكار "الإشكالية" http://www.wadilarab.com/t11060-topic#ixzz3RjxSCprm

منتدى وادي العرب

٢٤- ظ: محمد علي الفاروقي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٢، بيروت، د.ت ص ٧٨٦

٢٥-ظ: الجرجاني، علي بن محمد : التعريفات، تحقيق : محمد بن عبد الكريم القاضي، القاهرة ١٩٩١ ص ٢٢٤ فقرة ١٥٩٥

٢٦-اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ،فهد الرومي ،وظ: التفسير والمفسرون ،الدكتور محمد حسين الذهبي ،وظ:التفسير ورجاله :ابن عاشور .

[٢٧]-ظ: روح المعاني ج ١ / ٤.

[٢٨]-ظ:http://vb.tafsir.net/tafsir حاجة العصر وتفسير القرآن، رائد عبد دراج

[٢٩]- الإكسير في علم التفسير للطوفي ص/٣٣ و ما بعدها.

[٣٠]- تأويل مختلف الحديث لإبن قتيبة ص/ ٥٥.

[٣١]- المصطلح الأصولي، د/ فيرد الأنصاري، ص/١٢٤ - ٤٢٥ بتصرف.

[٣٢]- ظ: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص/ ٩٦.

٣٣- مفتاح العلوم للسكاكي ص/٤٢١.

٣٤_ مفتاح العلوم للسكاكي ص/٤٢١

٣٥-التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص/ ٩٦.

[٣٦]- ظ: التجديد في التفسير حاجة ضرورية، محمد البويسفي، على موقعhttp://islamselect.net/

٣٧- ظ: التجديد في التفسير حاجة ضرورية، محمد البويسفي، على موقعhttp://islamselect.net/

٣٨- ظ: الإكسير في علم التفسير لنجم الدين الطوفي الحنبلي.حققه عبد القادر حسن وصدر عن مكتبة الآداب بالقاهرة وفيه أهم الأصول التي عليها يتوقف التفسير السديد...

٣٩-ظ: أصول التفسير: محاولة في البناء لمولاي عمر بن حماد.دار السلام : ٢٠١١.

[٤٠]-ظ: اتجاهات التجديد في تفسير القرءان الكريم لمحمد إبراهيم الشريف .دارا لسلام:٢٠١٠.

٤١-ظ: علم التفسير :أصوله وقواعده للدكتور خليل الكبيسي.مكتبة الصحابة الشارقة :٢٠٠٧.

٤٢-ظ: من محاذير التفسير سوء التفسير و التأويل للدكتور يوسف القرضاوي مجلة إسلامية المعرفة:العدد الثامن والتاسع .السنة :١٩٩٧.

٤٣-ظ:العلمانيون والقرآن الكريم : تاريخية النص لأحمد الطعان .دار ابن حزم الرياض :٢٠٠٧، يراجع كذلك :دعاوي الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها .عبد المحسن بن زين المطير ي دار البشائر.٢٠٠٧-. يراجع:علم الانتصار للقرآن : محاولة في التقعيد لدكتورة سهاد قنبر.بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية. الرياض فبراير ٢٠١٣.

٤٤-ظ: الدكتور ماجدي باسلوم الإمام الماوردي :٢٢.

٤٥-ظ- معايير القبول والرد في تفسير النص للدكتور محمد الحسين:22

٤٦-ظ:المقدمة العلمية المتعلقة بالتفسير ومدارسه ومذاهبه لمجدي باسلوم والتي جاءت في مقدمة تحقيقه لتفسير الماتريدي ا لصادر عن دار الكتب العلمية.

[٤٧]- نحو منهج أمثل لتفسير القرآن-أحمد بن محمد الشرقاوي،٢٠٠٦م

٤٨- الاصفهاني، المفردات:المقدمة

٤٩ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٦٥/٢

٥٠ - ظ: فتح القدير الجامع ، الشوكاني ١ /١٧ وظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ١ / ٣

٥١ - ظ: زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي : ٤/١

[٥٢]- رواه الترمذي في السنن عن أبي هريرة باب ما جاء في كتمان العلم. الحديث رقم: ٢٧٨٧ وقال " وفي الباب عن جابر وعبد الله بن عمرو. حديث أبي هريرة حديث حسن " ورواه أبو داود في السنن عنه كتاب العلم باب كراهية منع العلم . حديث٣٦٥٨ ،

٥٣ - ظ: جامع البيان، الطبري: ٥٨/١ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٣٣٨/١ ، وظ:جامع البيان، الطبري :١ / ٥٧ ، وظ: مقدمة التفسير ،ابن تيمية : ١٠٢

٥٤ - فهمُ القرآنِ ومعانيهِ،أبي عبدِ الله الحارثِ بن أسدِ المحاسبيِّ: ٢٧١

٥٥ - ظ:جامع البيان : ٣/ ٨٩ وظ:تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١/ ٤٢٨ وظ: فتح القدير: ٤٣/١ وظ:معالم التنزيل البغوي: ٣٣٤/١ وزاد المسير في علم التفسير:٣٣٤/١

٥٦ - ظ: جامع البيان:١/ ٦٥.

٥٧ الإتقان في علوم القرآن،السيوطي: ٢ / ٤٧٩ ، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ١٨٠

٥٨ - تدبر القرآن ، سلمان بن عمر السنيدي : ٩٧ .

٥٩ - أخلاق حملة القرآن، الآجري: ٤٠ .

٦٠ -ظ: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ٥٣ .

٦١ - مبادئ أساسية لفهم القرآن: المودودي: ٤٨ ، ٤٩

٦٢ - مجموع الفتاوى، ابن تيمية: ٧ / ٣٥

٦٣- ظ: نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي ،وظ: أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير.

٦٤ - الجامع لأحكام القرآن،القرطبي : ١ / ٢٧ .

٦٥ - مبادئ أساسية لفهم القرآن، المودودي: ٥٢.

[٦٦]-ظ: نبذ من مقاصد الكتاب العزيز للعز بن عبد السلام

٦٧ ـ ظ: التحرير والتنوير : ١ / ١٩ ، ٢٠ . وظ: معالم في الطريق: ١٥ .

٦٨ ـ بحوث في أصول التفسير، الدكتور محمد بن لطفي الصباغ : ٢٤٤.

٦٩ ـ ظ: الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٢٨، مبادئ أساسية في فهم القرآن ، أبي الأعلى المودودي : ٤٩ :٥١ وظ: محمد عبد الله دراز النبأ: ١٥٣ ، ١٥٤ . .

٧٠ ـ ظ: اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه : ٣١ موقع صيد الفوائد وملتقى أهل التفسير.

٧١ ـ ظ:محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي :٢٩٢ ط دار الشروق ، وظ: عبد الكريم الخطيب التفسير القرآني للقرآن: ٢٤٥/١٩ ط دار الفكر العربي.

٣٩ ـ سنن الدارمي : ١/ ٣٨ ، والمعجم الكبير : ٢٣٩/١١ .

٧٣ ـ مسلم : ١٧٩٥/٤ حديث ٢٩ـ (٢٢٩٥) .

٧٤ ـ ظ:بصائر ذوي التمييز : ١/ ١٠٨ـ١٠ ، وظ:البرهان في علوم القرآن، الزركشي : ٢ / ٢١٧ : ٢٥٢.

٧٥ ـ ظ: مفاتيح للتعامل مع القرآن ،صلاح الخالدي : ١٤٤

٧٦ ـ ظ: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، صلاح عبد الفتاح الخالدي : ٤٥ .

٧٧ ـ تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ، علي بن سليمان العبيد : ٩٧ ، ٩٨ .

٧٨ ـ ظ: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/ ٢٩٥ ، المفردات، الراغب الأصفهاني: ٣/١.

٧٩ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ٣ / ٥٣٨

٨٠ ـ البرهان في علوم القرآن ١ / ١٦.